PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8): 973-999
ISSN: 1553-6939

Contexts of the relationship between technology and the act of theorising in media and communication sciences -the duality of optimism and pessimism about the uses of artificial intelligence -

PhD (c) Houcine CHOUYEB [1*], Dr. Salim MAIZA,[2*] Dr. Joudi BENGUIT[3*], PhD (c) Hadj Issa BENSAFIDDINE[4*]

[1] University of Laghouat (Algeria), Laboratory of Sociology of Cultural Communication: Values – Representations – Practices. https://orcid.org/0009-0000-9290-6448 , h.chouyeb.sh@lagh-univ.dz
[2,] University of Laghouat (Algeria), Laboratory of Sociology of Cultural Communication: Values – Representations – Practices. sa.maiza@lagh-univ.dz
[3] University of Laghouat (Algeria), Laboratory of Sociology of Cultural Communication: Values – Representations – Practices. d.benguit@lagh-univ.dz
[4] University of Laghouat (Algeria), Laboratory of Sociology of Cultural Communication: Values – Representations – Practices. h.bensafiddine.sh@lagh-univ.dz
Received:15 /07/2024 ،Published: 28/08/2024

ABSTRACT

This research paper aims to highlight the chaos of artificial intelligence tools by reviewing the perspectives of their users within a team that supports the potential of artificial intelligence and what it has to offer. Another team believes that these techniques will have terrible consequences at the user level and in terms of the structure of the usage itself. The relationship between man and machine appears to be complementary, based on a dual principle of the machine's education (learning) by the human and the assignment of tasks to the machine by the human. On the one hand, artificial intelligence tools reflect only a structural revolution that demonstrates the complexity of the current scene as a scene that suggests the ingenuity of human rationality and the degree of development it has reached historically and scientifically. On the other hand, it also indicates the need to take into consideration the perspective of the pessimistic trend, through the fact that this rational human ingenuity may show reckless loyalty towards this "new idol" and therefore move consistently towards the unknown that these intelligent systems can translate into the heart of the domination equation from a machine that obeys and serves a human being to the domination of the machine over the person responsible for its existence and empowerment. This is what this paper seeks to achieve by clarifying the fragmentation occurring among the users between a user that highlights the unique user experience that artificial intelligence provides and a user that sheds light on the necessity of epistemological and critical accountability for what could result from the use of artificial intelligence systems, based on the contexts of the relationship between technology and the field of media and communication sciences.

Keywords: Digital user, artificial intelligence, user experience (UX), epistemological accountability.

سياقات العلاقة بين التقنية وفعل التنظير في علوم الإعلام والاتصال

– ثنائية التفاؤل والتشاؤم حول استخدامات الذكاء الاصطناعي أنموذجا–

ط.د شويب حسين[1]، د.معيزة سليم[2]، د. جودي بن قيط[3]، ط.د بن صفي الدين الحاج عيسى[4]

[1]جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، مخبر سوسيولوجيا الاتصال، الثقافي : القيم – التمثلات – الممارسات h.chouyeb.sh@lagh-univ.dz https://orcid.org/0009-0000-9290-6448
[2]جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، مخبر سوسيولوجيا الاتصال، الثقافي : القيم – التمثلات – الممارسات sa.maiza@lagh-univ.dz
[3]جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، مخبر سوسيولوجيا الاتصال، الثقافي : القيم – التمثلات – الممارسات d.benguit@lagh-univ.dz
[4]جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، مخبر سوسيولوجيا الاتصال، الثقافي : القيم – التمثلات –الممارسات h.bensafiddine.sh@lagh-univ.dz

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز معالم فوضى أدوات الذكاء الاصطناعي من خلال استعراض موقع المستخدمين منها بين فريق محتف ومهلل بالإمكانات التي تقدمها أنظمة الذكاء الاصطناعي، وفريق آخر يرى بأن هاته التقنيات ستكون لها تبعات مرعبة على مستوى المستخدمين أنفسهم، وعلى صعيد بنية الاستخدام ذاتها، وتبدو العلاقة القائمة بين الإنسان والآلة علاقة تكاملية تقوم على مبدأ مزدوج جوهره تعليم الإنسان للآلة وتوكيل المهام للآلة من قبل الإنسان، فأدوات الذكاء الاصطناعي تعبر عن ثورة بنيوية لا تدل إلا على تشابك وتعقيد المشهد الحالي باعتباره مشهدا يوحي ببراعة العقلانية البشرية ودرجة التطور التي بلغتها في مسارها التاريخي/العلمي من جهة، كما يدل أيضا على ضرورة أخذ نبوءات التيار المتشائم بعين الاعتبار من خلال كون تلك البراعة العقلانية للإنسان قد تكون ولاء متهورا تجاه هذا "المعبود الجديد" وبالتالي السير بخطى ثابتة نحو المجهول الذي يمكن أن تترجمه هاته الأنظمة الذكية في قلب معادلة الهيمنة من كائن بشري يطوع الآلة لخدمته وتحقيق غاياته المتنوعة، إلى هيمنة الآلة على هذا الكائن المسؤول عن وجودها وعن مقومات التمكين لها من جهة أخرى، وهو ما تسعى إليه هاته الورقة من خلال توضيح التشرذم الحاصل لدى جمهور المستخدمين بين مبرز لتجربة الاستخدام المميزة التي يوفرها لنا الذكاء الاصطناعي وبين مبرز لضرورة المساءلة الإبستمولوجية والنقدية لما يمكن أن يترتب عن استخدامنا لأنظمة الذكاء الاصطناعي انطلاقا من سياقات العلاقة بين التقنية و حقل علوم الإعلام والاتصال.

الكلمات المفتاحية:

المستخدم الرقمي، الذكاء الاصطناعي، تجربة المستخدم ux، المساءلة الإبستمولوجية.

مقدمة:

إن تطور الفكر يؤدي إلى حل المشكلات كما أنه قد يؤدي إلى طرح مشكلات أخرى في الوقت ذاته حيث يترتب عنه الوقوع في الإشكاليات وتوليدها كما يعبر عن ذلك الفيلسوف الفرنسي **إدغار موران**[1]، فالتطور الذي تشهده الاختصاصات العلمية بقدر ما يساهم في تفعيل الأطر العلاجية للظواهر من خلال مواجهتها والتصدي لها بالأدوات المنهجية، بقدر ما يحرج هاته التخصصات بجعلها تقع مرة أخرى في سيرورة من القضايا المعرفية التي لابد أن تستعد لها الجماعة العلمية بالتحليل والنقد والتفسير من أجل تفادي أي قلق معرفي أو منهجي قد ينجم عن تجاوزها أو عدم الالتفات لها.

فعلى غرار بقية الحقول المعرفية نجد حقل علوم الإعلام والاتصال كواحد من التخصصات التي تطالها دائما شبهة الافتقار إلى الشرعية العلمية (**Lack of scientific legitimacy**) بسبب إزعاجها لبقية العلوم والتخصصات العلمية بأخذ ظواهرها بالتحليل والمناقشة وتبني المسؤولية الكاملة حول استلاف مجموعة كبيرة من المفاهيم والأدوات من تخصصات السوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا، الاقتصاد، الفيزياء، الفلسفة، العلوم السياسية، علم النفس... وغيرها من العلوم التي تمتلك الحد الكافي من المأسسة الاجتماعية والعلمية.

إن تتبع المشهد العلمي والتقني المستجد يشير إلى أن تغول تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي وإمبريالية إمبراطورية ال **GAFAM** التي تتكون من عمالقة التقنية الرقمية الخمس (غوغل، آبل، فيسبوك، أمازون، ومايكروسوفت) قد أدخلت البشرية فيما يعرف بالحضارة

[1] إدغار موران، (2009)، النهج إنسانية البشرية–الهوية البشرية، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط1، ص 126.

الرقمية (**Digital Civilization**)[2] ، وهو الأمر الذي ينذر وبشكل جلي أن علاقة الإنسان بالآلة/التقنية ليست كما في سابق عهدها مما يثير السؤال على مستويات عدة، لاسيما المستوى الأكاديمي الذي غالبا ما يتسرع المنتسبين له من باحثين ورواد فكر وعلماء في محاولة استجلاء حقيقة كل جديد ومعرفة جوهر كل مستجد، وينطبق هذا عندما نتكلم اليوم عن أنظمة الذكاء الاصطناعي وأدواتها المتعددة التي تشهد سوق حضارة اليوم منافسة شديدة بين مطوري هاته الأنظمة ومبرمجيها وكل الشركات التقنية في طرح تلك الأدوات والتطبيقات بشكل يستدعي الريبة ويثير القلق الوجودي لدى الإنسان العاقل (**Homo sapiens**)، الذي دائما ما يوصف بأنه مسؤول وعلى درجة عالية من الوعي بأفعاله وممارساته، وينذر أيضا بضرورة تحليل وتفكيك سياقات وأبعاد حركة الإنتاج الرقمي والصناعات الرقمية (**Digital industries**) بشكل يوازي تلك الحركية المتسارعة التي بلغت مبلغا ربما لم تشهده البشرية طيلة مسار التطور التاريخي لوسائل الإعلام التقليدية وتقنيات الاتصال الإلكترونية السابقة، مما يحيلنا إلى فكرة أن هذا التسارع والتنامي الذي تمثله أنظمة الذكاء الاصطناعي ويتصدر به مطوروها والقائمين عليها المشهد الكلي للساحة العلمية والتقنية معا، يؤكد وبشكل لا التباس فيه حجم التعقيد المركب للكائن البشري وتعقيدات مآلات أفعاله ونتاجه السلوكي والفكري والأخلاقي، كما يؤكد على صدق افتراض ما يعرف بالإنسان (العاقل/المجنون) في الآن ذاته، كما يدلل على وصفه بدقة الفيلسوف **إدغار موران** حينما يحدثنا عن التعقيد المركب الذي يعرفه الإبداع الإنساني بقوله "*ثمة قيادة مزدوجة في الإبداع البشري للعاقل والمجنون معا في لب دائرة ثنائية القطب*".[3]

مما يعني أن فعل الإبداع ككل يقوم على عقلانية الكائن البشري والمستوى الذي وصلت إليه تلك البراعة الذهنية، وأيضا على مساهمة انفعالاته وعواطفه المنفلتة (جنونه بتعبير **إدغار موران**) وكل ما تشكله من مغالاة نفسية في ذات هذا الكائن، تلك العمليات التي تكمل بعضها وتناقض بعضها وتتصارع مع بعضها وتتوافق مع بعضها في حالة دائرية مستمرة لا يلبي فهمها واستيعابها إلا براديغم التعقيد (**Complexity Paradigm**) .

إن مسألة التأريخ لأنظمة الذكاء الاصطناعي وعلوم البيانات والحاسب ربما تؤدي بنا إلى تفعيل مبدأ المسؤولية العلمية والأخلاقية معا، من أجل مقاربة الصواب ومجانبة هوامشه كونها تعتبر مسألة حذرة وفيها نوع من المخاطرة، فالذكاء الاصطناعي كتوجه بحثي هو في الأساس توجه قديم كما تشير إلى ذلك معظم الأدبيات وليس كما يعتقد البعض أنه وليد هاته الصحوة المتأخرة -المرتبطة بإثارة النقاش حوله وحول تداعياته – خاصة في المناطق و الجغرافيات التي غالبا ما يعاني باحثوها من تبعات الفجوة المعرفية والإعلامية (**The knowledge and Media Gap**).

وتشير بعض الأدبيات أن مصطلح الذكاء الاصطناعي تم تأسيسه من قبل علماء الحاسوب (**جون مكارثي، مارفن مينسكي، ناثانيال روتشستر، وكلود شانون**) في عام 1955 وقد عرفوا هذا الأخير بأنه القدرة على جعل الجهاز يتصرف بطرق تعتبر ذكية، إذا كان الإنسان يتصرف بنفس الطريقة.[4]

وقد تثير تقنيات الذكاء الاصطناعي واستخداماتها المتنوعة –باعتبارها وسائل إلكترونية وأدوات رقمية- ما أثارته سابقا وسائل الإعلام عندما نجد أنفسنا أمام وسيلة جديدة (سواء جديدة من حيث الشكل والمضمون والبنية أو من حيث دمج عناصر إضافية في وسيط قديم) متسائلين دائما الأسئلة نفسها من قبيل: هل ستلغي الوسائل الجديدة نظيرتها القديمة؟ هل سيختفي جمهور الوسائل

[2] برونو باتينو، (2021)، حضارة السمكة الحمراء، ترجمة: مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، ص 17.

[3] إدغار موران، (2009)، النهج إنسانية البشرية – هوية البشرية، ص 153.

[4] lew, Gavin; robert, m, schumacher, (2020), AI and UX why artificial intelligence needs user experience, springer, n . 1, p 3.

التقليدية؟ هل هناك إمكانية لوضع الحدود الفاصلة بين ماهو جديد من الوسائل وما هو قديم؟ أم أن المعيار الفاصل هنا هو معيار تاريخ النشأة والظهور فقط؟ هل نحن أمام حوامل إعلامية واتصالية من نوع جديد؟ من أي طبيعة ومن أي نمط هي هذه الوسائط الذكية؟ والكثير من هاته التساؤلات، لا سيما وأن بعض أدوات الذكاء الاصطناعي بإمكانها دمج عدد كبير من الوسائط (مسموعة، مرئية، مكتوبة)، وبالتالي فالمنظور المعرفي لعلوم الإعلام و الاتصال بصفته واحدا من التخصصات التي تملك شجاعة التساؤل المستمر يمكنه دائما أن ينصب نفسه من خلال ما يطرح من إشكالات تصاحب ظهور الوسائل والأدوات والوسائط المختلفة ولا يكتفي بهذا القدر فقط، بل يمتد ليستوعب كل ما يترتب عن تلك الإشكالات والقضايا من جزئيات كجزئية أطراف العملية الاتصالية (الإشكالات الخاصة بجمهور المستخدمين مثلا)، ومسألة السياقية التي تفرزها الوسائط (**Media-generated contextualisation**) بالإضافة إلى التداخل بين الأفضية الواقعية والأفضية الافتراضية (**Real and virtual spaces**) وكل ما يندرج تحتها من نقاشات تثار حول الهويات، والخصوصية، و الاستخدام، والتمثل الرقمي للوسائط، و سلوكات وممارسات وتجارب الاستخدام لدى رواد هاته الأدوات وغيرها .

ويعبر التطور الحاصل في أنظمة الذكاء الاصطناعي -إذا ما انطلقنا من وجهة نظر علوم الإعلام والاتصال- عن تأكيد فكرة تطفل وإزعاج هاته العلوم لبقية حقول المعرفة الأخرى(**Annoying science**)، وهو ما عرفت به وتميزت به علوم الإعلام والاتصال طيلة مسار تشكلها التاريخي، بتدخلها في نقاشات متباينة هنا وهناك حول مسائل وقضايا ربما هي في الحدود الخاصة لحقل معرفي معين أو لعلم محدد، كما هو الحال حينما نود الخوض في الذكاء الاصطناعي وأدواته فإننا نبدأ من العلم الذي يؤسس لهذا الأخير ويضع له افتراضاته الأساسية ونظرياته وقواعده كعلوم الحاسب وعلوم البيانات والرياضيات، ولكن الحاصل في علوم الإعلام والاتصال كمجال بحث متعدد الاختصاصات بتعبير (**دومينيك وولتون**) أنه يمكنه إثارة وتحريك الرؤى الفكرية ووجهات النظر دائما وبصفة مستمرة حول موضوعات خارجة عن نطاقه، أو لنقل تجرؤ الجماعة العلمية لهذا الحقل المعرفي الفتي على مبادرة مسائلة موضوعات معرفية مرتبطة بتخصصات علمية أخرى بغية إكسابها البعد الإعلامي والاتصالي ومنه ضمها للمجال الإعلامي وتبنيها بالتنظير حولها وجعلها في قلب الاهتمامات الأكاديمية لهذا الحقل المعرفي.

إن تسابق المستخدمين الرقميين على تجربة استخدام تقنيات وأدوات ال **AI** يجعل باحثي علوم الإعلام والاتصال –على وجه التحديد- متأهبين لمناقشة هاته الحالة من الفوضى التي يخلفها هؤلاء ورائهم جراء ما يقومون به من فعل الاستخدام وما يترتب عليه من ممارسات و سلوكات وأنماط مختلفة بغض النظر عن طبيعة الأدوات والتقنيات الذكية المستعملة، فقد ينجر عن الاستخدامات الواسعة لتلك الأنظمة والتطبيقات الذكية منافع عديدة أبرزها في المجمل تشير إلى اختصار الوقت والجهد والمسافة وترشيد القرارات وتحسين جودتها ودقتها وسرعة وقت إنجازها وتنفيذها، ومن هذا المسعى يبرر تيار المحتفين بالتجارب المميزة لاستخدام الذكاء الاصطناعي لموقفهم الثابت حيال هذه التكنولوجيا الذكية، أما تيار المتخوفين من تبعات تلك الأنظمة والسلبيات التي قد تترتب على استخدامنا لها في المجمل، فهم أكثر مسؤولية وأشد وعيا بالكارثة التي قد تحصل نتيجة (حميمية العلاقة بين المستخدم الرقمي وأدوات الذكاء الاصطناعي)، الأمر الذي يدعو هؤلاء إلى محاولة استحضار السوسيولوجيا الوظيفية وطروحات مقاربة (الاستخدامات و الإشباعات) من جديد بغرض مسائلة فعل الاستخدام، والمستخدم، والذكاء الاصطناعي –كوسيلة أو وسيط- وإعادة موضعة مفهوم (المستخدم النشط) والإيجابي والفعال وفق الأساس الذي تصوره به كل من **كاتز ولازارسفيلد** (**Katz & Lazarsfeld**) .

فالاستخدام التقني لأدوات ال (AI) من طرف الأفراد المستخدمين ينطوي على غايات وأهداف مزدوجة الجوانب وهذا ما نتفق عليه جميعا من الناحية المنطقية التي تقتضي أن لكل فعل غاية أو هدف، ولكل مقدمة نتيجة ما، ولكن الأمر الذي نود فهمه وتفسير بنيته

التي تكتسيها ملامح الغموض والسرية نوعا ما، هو ما إذا كانت تلك الغايات التي يبتغي المستخدم تحقيقها وبلوغها من استخدامه للذكاء الاصطناعي هي نفسها الغايات والأهداف التي يسعى لها مطورو هذه الأنظمة حينما باشروا تطوير هاته الأخيرة والاستثمار فيها بشكل كبير، وبصورة أخرى **هل فكرة أن الذكاء الاصطناعي -باعتباره آلة / تقنية- هو الآخر يستخدمنا صائبة وواردة ؟ ومن منظور مجال البحث الاتصالي، ما هي طبيعة العلاقة بين التقنية ككل وفعل التنظير في حقل علوم الإعلام والاتصال؟** إذا كان التساؤل العلمي بريء و لا يسعى الباحث من ورائه إلا لتحصيل إجابة تمكنه من الفهم وإدراك العلاقة بين ثنائية المستخدم (الإنسان) والتقنيات الفائقة الذكاء (الآلة / التقنية)، هذا ربما ما نود معرفته من خلال هذا المقال التحليلي وفق رؤى وطروحات وتصورات (إعلامية، اتصالية، اجتماعية، نفسية، أخلاقية،...) نستدعيها من بعض الرواد والمهتمين في حقل الإعلام والاتصال، مستعينين بالمنهج التحليلي لمحاولة الفهم أكثر ولما لا إماطة اللثام عن تلك الضبابية التي ترافق مفاهيم (المستخدم، الذكاء الاصطناعي، تجربة المستخدمين، سياق الاستخدام ...).

وللإجابة على التساؤل المحوري للبحث يمكن طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تشكل البناء الإجمالي لهذا المقال، وهي كالتالي:

تساؤلات البحث:

- كيف هو جوهر العلاقة بين التقنية والتنظير العلمي في حقل علوم الإعلام والاتصال وفقا لمقاربة التتبع التاريخي؟
- هل بإمكاننا مساءلة علاقتنا بتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي انطلاقا من طروحات بعض الرواد من الحقل الاتصالي؟
- ماهي ادعاءات وملامح نزعتي التفاؤل والتشاؤم حول تقنيات الذكاء الاصطناعي؟

المبحث الأول: المطارحات المفاهيمية.

المطلب الأول: المستخدم الرقمي (محاولة في معنى المفهوم).

في البداية لابد أولا من توضيح ما يعنيه مفهوم الاستخدام لكيلا نقع في الخلط المفاهيمي ونراعي خصوصية المفهوم ولنفرق بينه وبين المستخدم الرقمي:

يشير مفهوم الاستخدام إلى تلك العمليات القصدية التي يقوم بها الشخص أو مجموعة من الأشخاص تجاه (طرق، مناهج، استراتيجيات، آليات، أدوات، وسائل، تقنيات، منتجات، خدمات، أنظمة، نشاطات، أفعال وممارسات...) بغية تحقيق وظيفة أو غاية معينة منها باعتبارها الشيء المستخدم، فنقول مثلا: فلان استخدم وسيلة معينة، أي قام بوظيفة ما من خلال هاته الوسيلة أو عن طريقها أو لها في ذاتها.

ويفرق بعض الباحثين بين كل من مفهوم الاستعمال ومفهوم الاستخدام باعتبار أن الاستعمال يعبر عن مفهوم الاستهلاك الفوري للمنتجات مثلا، والاستخدام يدل على التحكم والامتلاك والتعلم لإشباع الحاجات المتنوعة.[5]

وقد نختلف مع الباحث في وجهة النظر الخاصة بالفروق القائمة بين المفهومين، في كون الاستعمال والاستخدام قد يؤديان الغرض نفسه من ناحية الفهم السائد لدى الناس، إلا أننا نشاطره الرأي إذا ما بحثنا في التأصيل اللغوي لدلالة كلا من المفهومين، حتى و

[5] عبد الرحمان قدي، المقاربات النظرية والمنهجية في دراسة جمهور ومستخدمي وسائط الاتصال، 2016، تاريخ الاسترداد: 07-03-2024، https://2u.pw/rqLTJWQC .

إن كان تأصيلا ذهب إليه بعض المشتغلين في اللغة ودلالات ألفاظها، فقد نجد لفظ الاستخدام مرهون بالإنسان ولفظ الاستعمال مرهون بالآلات والأجهزة وعليه يقترح البعض أن قول: (فلان يستخدم الجهاز) غير صائبة والأصوب (فلان يستعمل الجهاز)، ويعبر هذا الرأي عن مدى الاختلاف لدى المتخصصين ربما.

بالإضافة إلى ذلك يرى (سعيد لوصيف) أن لفظ الاستعمال يدل على فعل الاستعانة بالجهاز التقني وتوظيفه، في حين أن لفظ الاستخدام يحيلنا إلى تلك الروابط التي تجعل المستخدم مرتبطا فيما بعد بالجهاز التقني كالروابط (الاجتماعية، الثقافية، النفسية ...).[6]

لكن نكرر القول أننا لا نجد أي مبرر مقنع للفرق القائم بين مدلول اللفظتين (استعمال و استخدام) من منطلق أن اللغة العربية لغة رحبة وتسع ألفاظها عدة مدلولات في المجال التداولي لدى الناس وبالتالي فاستعمال أحد اللفظين قد يكون معبرا و موحيا نظرا لحالة الاتفاق التي تحصل بين متداولي هاته الألفاظ والمفردات، ومعيار الاتفاق على المدلول هو المعيار المبرر لعملية تداول الألفاظ والمصطلحات وقبول معناها في الفضاء الاتصالي.

يعبر مفهوم المستخدم ببساطة عن الشخص أو الكيان الذي يتفاعل مع المنتج أو الخدمة أو أي نظام ما، وفق طريقة ما من خلال استعماله أو استخدامه أو استهلاكه.[7]،

ويعرف أيضا بأنه كل من يباشر فعل التحكم في أداة أو جهاز أو تقنية أو وسيلة ما بغرض الوصول إلى هدف أو غاية ما كقولنا (أحمد يستخدم الهاتف)، فهو مستخدم لهاته الوسيلة وهي الهاتف بغية ممارسة نشاط اتصالي معين مثلا.

أما مفهوم المستخدم الرقمي (الافتراضي) فهو مجموع الفاعلين في البيئة الرقمية والذين يمتلكون حسابات شخصية خاصة أو حسابات عامة تمكنهم من ممارسة كافة الأنشطة التفاعلية داخل المنصات الرقمية و الافتراضية لأغراض تواصلية تعليمية ترفيهية ثقافية تجارية ... وغيرها، فكل ما يمارسه الشخص في بيئة الاتصال الرقمي أي داخل الحيز الميدياتيكي المرتبط أساسا بشبكة الإنترنت يعبر عنه بالاستخدام الرقمي، فأنشطة الكتابة، والنشر، والتعليق، والتحميل، والمشاركة، والتدوين، والتعديل على الأنواع المختلفة للمحتويات حينما نقوم بها داخل المواقع أو المدونات أو التطبيقات أو المنصات الرقمية المتعددة نصبح مستخدمين رقميين لأن هاته الأنشطة تمت من خلال أجهزة أو آليات رقمية حتى وإن كانت تتوافر على ما هو واقعي من عناصر ومظاهر مؤسسة لجوهرها وماهيتها، وقد نتفق مع القول الذي يقضي بأن الاستخدام كفعل لا يقتصر على الاستعانة بالشيء المستخدم بل يذهب إلى أبعد من ذلك من خلال طرحه لمسألة خلق نوع من الألفة بين المستخدم و ما يستخدمه، وبعض الروابط والعلاقات التي تحدد للمستخدم ما حوله من الأمور، فاستخدام الهاتف الذكي اليوم ليس استخداما وظيفيا تقنيا وفقط، بل أصبح الجهاز جزء مهم في حياة المستخدم وفي نشاطاته اليومية و بناء عليه يمكن أن يؤدي بعض المهام (حتى ولو كانت ضمن الفضاء الواقعي) كما يمكن ألا يوفق لتأديتها بسبب عدم تواجد وتوفر الهاتف أو شبكة الانترنت داخله، بمعنى أن فعله رهن بوجود هاته التقنية وهذا ما تطرحه مسألة مفهوم الاستخدام والامتدادات التي تترتب عنه .

وقد طرح مفهوم المستخدم الرقمي بشكل كبير في الآونة الأخيرة نظرا لبروز اتجاهات بحثية جديدة تهتم بكافة الممارسات و السلوكات الممكنة للأفراد داخل الانترنت ومواقعها وتطبيقاتها المختلفة، لاسيما على صعيد ما يعرف بعلم الاجتماع الرقمي **(Digital**

[6] دهلاس جينيفير، المراهق والهاتف النقال التمثل والاستخدامات –دراسة على عينة من المراهقين في ولاية الجزائر العاصمة–، 2010، تاريخ الاسترداد: 19-03-2024، https://2u.pw/BJIBxJCh .

[7] Chislelabs, what is user ? definition, types and role, 2023, viewing date: (07/03/2024), https://chisellabs.com/glossary/what-is-user/ .

(**sociology**الذي ينصب اهتمامه بمختلف الظواهر الاجتماعية المرصودة في بيئة الاتصال الرقمي، بالإضافة إلى علوم الإعلام والاتصال كحقل بحث يهتم وبشدة بعلاقة الأفراد بوسائل الإعلام الرقمية كمواقع التواصل والشبكات الاجتماعية باعتبارها حوامل رقمية صاحب ظهورها ظهور أشكال وتمظهرات جديدة لأنماط التواصل الإنساني وأنماط الفعل البشري.

وبالتالي فمفهوم المستخدم الرقمي مفهوم شديد الخصوصية والتعقيد نظرا لمكوناته النظرية وعناصره المترامية التي تشكل أبعاده سواء في بيئة الاتصال الرقمية، أو ما تثيره تلك العناصر على سطح الوجود الفيزيائي لذات المستخدم.

المطلب الثاني: الذكاء الاصطناعي (التجارب الأولية والانطلاقة الفعلية).

يرى مجموعة من العلماء أصحاب الشأن بالتكنولوجيا وعلاقتها بالإنسان أنه قد أضحى من المعقد اليوم توضيح تلك الحدود بين ما يمكن وصفه بالذكاء الاصطناعي وبين ما يمكننا اعتباره ذكاء بشريا، فالبشر اليوم يستعينون بالذكاء الاصطناعي كتكنولوجيا أكثر بكثير مما كانوا عليه في السابق، وهو ما أدى بحسب هؤلاء إلى تشابك التعريفين وتداخلهما فتفاعل الكائن البشري مع الأنظمة الذكية يعكس مدى تطور الذكاء الاصطناعي بشكل عام مثل أليكسا **(Alexa)** ذلك الجهاز المبتكر من طرف شركة **(Amazon)** والذي يدخل ضمن ما يسمى بأجهزة المساعدة الشخصية بحيث تقدم له مجموعة من التعليمات الصوتية في شكل أوامر ليقوم بمساعدتك في تنفيذها .[8]

يمكن أن نعود قليلا إلى الوراء لإلقاء نظرة تاريخية على الذكاء الاصطناعي من خلال أحد أبرز علمائه والمهتمين به كمجال للبحث والتجربة، وهو عالم الرياضيات البريطاني آلان تورينغ (**Alan turing**) وأحد أهم رواد علوم الكومبيوتر النظرية، والذي يؤكد العديد من الخبراء أن اسهاماته النظرية كانت بمثابة التأسيس لمجال الذكاء الاصطناعي (**AI**) .[9]

وقد انطلق **آلان تورينج** رائد علوم الحاسوب في وقت مبكر من عام 1950 من سؤال جوهري يكتسي طابعا فلسفيا وعلميا ويطرح إشكالات معرفية وأخلاقية أثار من خلاله استفزازا صريحا للعقل البشري العلمي، حينما تساءل عن إمكانية وجود قدرة للآلات على التفكير كما يستطيع ذلك العقل الإنساني، من خلال ابتكاره لتجربة فكرية يستطيع من خلالها العلماء ضبط مفهوم التفكير وتحديد ماهيته، سميت فيما بعد (بلعبة التقليد أو لعبة المحاكاة)، وهي في الأساس تجربة تسبر أغوار البحث حول سؤاله المطروح من أجل معرفة استطاعة الآلة التفكير السليم أم لا، وقد وضع **تورينج** هذا الاختبار لمعرفة ما إن كان العلماء بقادرين على بناء آلة يمكنها أن تنتحل صفة بشرية من خلال ابتكار فكرة وضع قاض يحاول تحديد الفرق بين مجموعة من المتسابقين البشريين و الآليين، وفي هاته اللعبة يجلس القاضي على جانب واحد من شاشة الكمبيوتر ويتواصل عن طريق المحادثات مع محاورين مجهولين على الجانب الآخر من الشاشة، هؤلاء المحاورون هم بشر ولكن سيكون أحدهم عبارة عن آلة تسعى لخداع القاضي ليظن أنها كائن بشري حي، عرفت هذه التجربة الفريدة بعدها باسم اختبار تورينج **(Turing Test)**.[10]

[8] حيدر فالح سلمان، (2021)، الخلود الرقمي – الذكاء الاصطناعي ومستقبل البشر –، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، قطر، ص 16.

[9] الجزيرة، ألان تورينغ عالم رياضيات بريطاني فك شفرة الألمان في الحرب العالمية الثانية، 2023، تاريخ الاستر: (26-03-2024)، https://aja.me/2t7mk7 .

[10] Anthony Elliott, (2018), The culture of AI - everyday life and the digital revolution, Routledge Taylor and Francis Group, n.1, p 05.

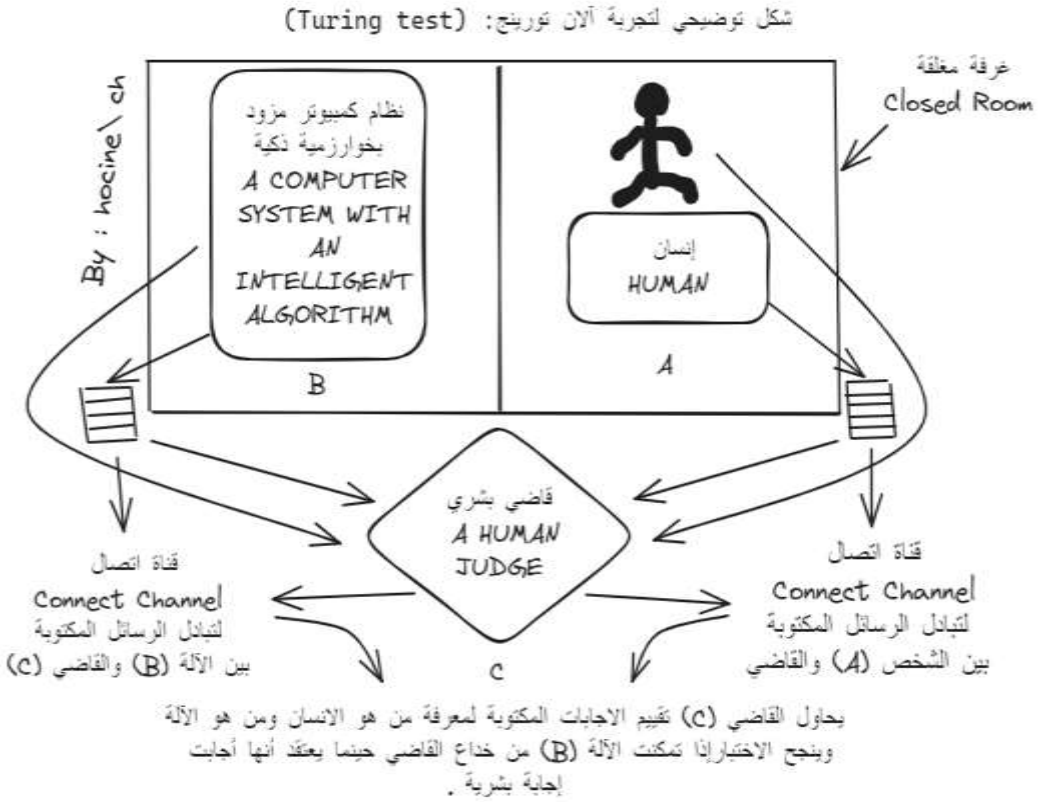

مخطط توضيحي لتجربة آلان تورينج (Alan Turing Test).

المصدر: من تصميم الباحث (المؤلف المرسل).[11]

ويشير ستيوارت راسل في كتابه (**ذكاء اصطناعي متوافق مع البشر**) تحت فصل بعنوان ماذا لو نجحنا؟ أن مجال الأبحاث في تكنولوجيا ال **AI** كان قد بدأ منذ مدة طويلة، لكن عام 1956 يمثل الانطلاق الحقيقي والفعلي عندما اجتمع كل من **مارفن مينيسكي** و**جون مكارثي** هذان الشابان المنتميان لتخصص الرياضيات و كلود شانون مطور نظرية المعلومات **وناثانيل رتشيستر** مبتكر أول جهاز كمبيوتر مطروح في الأسواق من قبل الشركة التقنية الرائدة **(IBM)** و حاولوا جميعا كفريق أن يجعلوا تلك الفكرة التي تظهر وكأنها طوباوية نوعا ما والمتمثلة في التفكير حول جعل الآلات ذات قدرة على أن تحاكي الذكاء البشري من خلال تمكينها من تحدث اللغة البشرية، وقدرتها على صياغة الأفكار المعقدة والمفاهيم المجردة، وامكانية حل المشكلات الصعبة والمستعصية التي غالبا ما تكون من صلاحيات الكائن البشري البت فيها ومواجهتها.[12]

ووفقا لمعجم البيانات والذكاء الاصطناعي يعرف الذكاء الاصطناعي بأنه " مجال من مجالات علوم الحاسب يركز على بناء أنظمة قادرة على

[11] المؤلف المرسل (الباحث) .

[12] ستيوارت راسل، (2022)، ذكاء اصطناعي متوافق مع البشر – حتى لا تفرض الآلات سيطرتها على العالم –، ترجمة: إسماعيل عبد العليم أسامة و محمد مصطفى فؤاد، مؤسسة هنداوي، ط1، ص 16.

أداء مهام تتطلب عادة ذكاء بشريا مثل: التعلم والاستدلال والتطوير الذاتي، ويطلق عليه أيضا (ذكاء الآلة)."[13]

ومن بين تعريفات الذكاء الاصطناعي نجد تعريفات روجر شانك **(Roger Schank)** الذي حاول أن يطرح تجميعة من التصورات التي توضح في مجملها مفهوم الذكاء الاصطناعي:[14]

1 – تكنولوجيا تعمل أشياء لم تعملها أي تكنولوجيا أخرى في السابق.

2 – تكنولوجيا بإمكانها استنتاج البديهيات والأفكار دون الاستعانة بالكائن البشري

3 – محركات الاستدلال التي بإمكانها أن تحسب مسارات مناسبة للعمل عن طريق تزويدها بأي نوع من المعلومات وفي أي مجال.

4 – أي تقنية أو آلة باستطاعتها القدرة على التعلم.

المطلب الثالث: تجربة المستخدم UX (بيئة الاتصال الرقمي وتوليد المفاهيم):

إن مفهوم تجربة المستخدم **(User experience)** من بين المفاهيم التي تولدت عن الثورة الرقمية، وهو يطرح بشكل جلي أبعاد متداخلة ويشير إلى قضايا وجزئيات هي في صميم مجموعة من الاختصاصات العلمية وبالتالي فهو يجسد فكرة حاجة الاختصاصات لبعضها البعض من أجل فهم الظواهر المرتبطة بالتقنية بشكل عام وبعلاقتنا بها كمستخدمين بشكل خاص.

ويلعب اليوم تصميم تجربة المستخدم وواجهة المستخدم دورا بالغ الأهمية في تطوير الأنظمة والتطبيقات والمنتجات الرقمية، فقد صاغ دون نورمان **(Don Norman)** مصطلح "تجربة المستخدم" في عام 1993 أثناء عمله في شركة أبل. وفي مقطع فيديو لمنظمة الأبحاث الخاصة به **(مجموعة نيلسن نورمان)**، يؤكد **نورمان** أن تجربة المستخدم **(UX)** تعتبر مفهوما مركبا و شاملا، يتضمن مجمل تجربة شراء واستخدام منتج ما أو نظام ما، ويقدم مثالًا على شراء جهاز كمبيوتر في التسعينيات، متخيلًا صعوبة حمل صندوق الكمبيوتر إلى السيارة، وتعقيد عملية إعداد الكمبيوتر، وهو يشير ضمنيًا إلى أن هذه التجارب - حتى وإن بدت منفصلة عن الوظائف الفعلية للجهاز - يمكن أن تؤثر على التصور العام للمستخدم لوظائف الجهاز، وهذا يكشف عن الطبيعة الشاملة والمعقدة التي ترافق مفهوم تجربة المستخدم.[15]

واستنادا إلى المقاربة التي تركز على فكرة ومبدأ تداخل الاختصاصات ومجالات المعرفة العلمية، يمكننا القول أن مفهوم المستخدم يعتبر مفهوما مركزيا في أبحاث علوم الإعلام والاتصال لاسيما مع ظهور الوسيط الرقمي **(Digital Medium)** ولكنه يناقش ضمن عدة اختصاصات أخرى نظرا للإشكالات التي يطرحها في بيئة الاتصال الرقمي من ناحية، ونظرا لتفاعله مع مزيج من المكونات التكنولوجية والاجتماعية والنفسية ... الموجودة داخل هذه الحوامل الاتصالية من المنصات والتطبيقات والأدوات والمواقع المصممة وفق شعار (للمستخدم ومع المستخدم وبالمستخدم).

ويشير مصطلح التجربة إلى إدراك المستخدمين أو الجماهير للتفاعلات مع الأجهزة والأحداث والأشخاص، فالنقر على صورة ما على الإنترنت وطلب أحد العناصر عن طريق تطبيقات وبرامج الهاتف الذكي، يوحي بأن هناك مجموعة كبيرة ومعقدة من أشكال التفاعل

[13] الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، (2022)، معجم البيانات والذكاء الاصطناعي – إنجليزي-عربي –، الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، ط1، ص 42.

[14] lew, Gavin; robert, m, schumacher, (2020), AI and UX why artificial intelligence needs user experience, springer, n . 1, p 04.

[15] NNgroup Don Norman, Don Norman: The term 'UX, 2016, viewing date: (21/05/2024), https://www.youtube.com/watch?v=9BdtGjoIN4E&ab_channel=NNgroup .

التي تكون بين الانسان وبين التقنية والتي يبحث فيها علماء التفاعل بين الانسان والحاسوب **(HCI)** وعلاقة ذلك التفاعل بعناصر التصميم المختلفة.[16]

وينظر في الآونة الأخيرة إلى المستخدمين في مجال تصميم تجربة المستخدم على أنهم محور عملية التفاعل، لذلك يطلب هذا المجال من المصممين النظر إلى التقنيات الجديدة بصفتها تجارب وليس باعتبارها منتجات، ويستخدم مطورو تجربة المستخدم نماذجا قائمة على العلوم الاجتماعية، وعلم النفس بشكل خاص لتصميم تجارب تتيح وتوفر للمستخدمين التفاعل بفعالية وكفاءة عالية مع العناصر الموجودة في عالمهم.[17]

وفي هذه الدراسة يمكن الإشارة إلى تجربة المستخدم بأنها تلك العلاقة التفاعلية بين المستخدم وأدوات الذكاء الاصطناعي المختلفة وعناصرها سواء كان الأمر يتعلق بواجهة استخدامها أو بالأيقونات المرئية المصممة لتوجيه المستخدم أو بالألوان الموجودة داخلها أو بمدى قابليتها للاستخدام كل هذا طبعا دون أن ننسى سلوك المستخدم ذاته، ضمن محورية المستخدم وأهميته في مجال تصميمها ودوره في خوض تلك التجربة بكل تفاصيلها.

المطلب الرابع: المساءلة الإبستمولوجية (بيان القيمة والحدود):

في البداية لابد من توضيح مدلول الإبيستمولوجيا، تشير كلمة **(épistémologie)** في الفرنسية إلى تركيبة ثنائية من الكلمة اليونانية **(épistémé)** التي تعني "العلم" أو "المعرفة العلمية"، واللفظ **(logos)** الذي يدل في أصله اليوناني إلى "نظرية" أو "دراسة نقدية" ومنه تدل كلمة ابستمولوجيا في جذرها الاشتقاقي إلى "نظرية العلم" أو "نظرية المعرفة العلمية".[18]

يمكن اعتبار كلمة إبيستمولوجيا بأنها من الألفاظ الجديدة، وقد أوجدها (جيمس فريديريك فريبه 1808، 1864) وتم إيجاد هاته الكلمة ولأول مرة منشورة سنة 1854 في كتاب بعنوان **(Institutes of metaphysics)**، وفي سياق الاستعمال الفرنسي نجد أن كلمة إبيستمولوجا يرجع إلى كتاب **(برتر اند راسل)** سنة 1901 م المعنون ب : **مقالة في أسس الهندسة**، وقد لقي هذا اللفظ رواجا كبيرا بعد ذلك مع **(إميل مايرسون)** ليكون بعدها موازيا في الاستخدام لما يعرف بفلسفة العلوم.[19]

ونقصد بالمساءلة الإبيستمولوجية مجموع النشاطات العلمية المحكومة بإطار (مفاهيمي، نظري، منهجي) من قبل الجماعة العلمية، والتي تسعى للتحقق من طبيعة إمكانات المعرفة وحدودها على مستوى تاريخ تشكلها، في تخصص علمي ما، من خلال البحث في أسسها ومقوماتها ونتاجها النظري ومحاولة معرفة مدى صلاحيتها من الناحية المنطقية العقلانية ومن الناحية المنهجية العملية انطلاقا، من أدوات التحليل الفلسفي وصولا إلى النتائج الميدانية والمنجز النهائي لتلك المعرفة في ذلك التخصص العلمي، كل ذلك وفق معيار نقدي صارم يهدف إلى البناء والتصويب والتقويم داخل بنية المعرفة العلمية ذاتها .

المبحث الثاني: التقنية والتنظير في علوم الإعلام والاتصال بين عفوية العلاقة وحتميتها.

يمكن للحديث عن تكنولوجيا ال **(AI)** أن يؤدي بنا إلى تجربة التأمل التاريخي في الوضع المعرفي لعلوم الإعلام والاتصال، لأن التأمل هنا يوحي بأن الظواهر الاتصالية ما كان لها أن تغنم بالتنظير و التفاكر بشأنها وبعناصرها ومكوناتها لولا التقنية، فالإعلام باعتباره الوجه الذي يمثل الجانب التكنولوجي للمعرفة الاتصالية ساهم في تحفيز الجماعة العلمية – باختلاف مشارب أعضائها الفكرية والفلسفية –

[16] G. Ho, A, Structuring User Experience Design with Affective Concerns, Art and Design Review, china, 5, (2017), p74, https://doi.org/10.4236/adr.2017.51006 .
[17] lew, Gavin; robert, m, schumacher, (2020), AI and UX why artificial intelligence needs user experience, springer, n . 1, p 06.
[18] GERALD HOLTON, (1952), Introduction to Concepts and Theories in Physical science, Addison-Wesley, n. 1, p 138-139 .
[19] عبد العزيز بوالشعير، (2016)، مقالات في الدرس الابستمولوجي – مساءلات فلسفية في العالمين الصغري والكبري –، منشورات الاختلاف، ط1، ص 45.

على أن تنصب أقلامها وتوجه طروحاتها نحو الاهتمام وبصورة متزايدة بكل ما يعنيه مفهوم التواصل والإعلام معا، مخلفة وراءها – أي الجماعة العلمية – أعقد إشكال يمكن أن نتصوره وهو إشكال معرفي (إبستيمولوجي) خالص في صميمه، يتمثل في محاولة فهم الاتصال الإنساني من خارج الاتصال أي من بنية التقنية (الإعلام) ومن خارج الإعلام أيضا أي من بنيات المجتمع، السياسة، الاقتصاد، وحتى الأخلاق.

يمكن أن نعبر عن وجهة النظر هاته حينما نستعين بطروحات (السيبرنطيقا) لفهم أنظمة التحكم الآلية والتي تعتبر أنظمة تواصل تعبر عن علاقات وتبادلات خاضعة لأوامر داخل النظام ولكن تكون بدايتها غالبا من قبل الكائن البشري (منطلق التواصل)، الذي يعمل على مراقبة تدفق المعلومات داخل النظام وربما توجيهها أحيانا وملاحظة التبادلات الحاصلة بين أجزائه واختبار دقتها وموثوقيتها وكفاءتها، وهو الحال أيضا مع الاسهامات النظرية للتيار الوظيفي الذي حاول رواده (**لازارسفيلد، بارسونز، إلهيو كاتز، روبرت مرتون** ...) معرفة تلك الأدوار والتأثيرات والعلاقات القائمة بين وسائل الإعلام ووظيفتها تجاه الأفراد كأعضاء في الجماعة وتجاه المجتمع والنظام الاجتماعي ككل، ففهم بنية تلك العلاقة القائمة حسب طرح هذا التيار لا يتأتى إلا من خلال فهم بنية تقنيات الإعلام ووسائله كمؤسسات اجتماعية في المقام الأول وبالتالي فتأثير هذه المؤسسات (وسائل الإعلام) على بنية المجتمع هو تأثير على نمط التواصل بين أفراده .

وهو من ناحية أخرى إشكال منهجي يعبر عن توسيع فجوة علوم الإعلام والاتصال كمجال بحث مفتوح، ومنه محاولة معالجة موضوعات الاتصال وفق منهجيات وطرائق (سيكولوجية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، أنثروبولوجية ...) دونما أي سعي لابتكار نهج اتصالي مبني على التواصل وموجه نحو الاتصال، بمعنى تلك المنهجية البحثية التي تحلل ظواهر الاتصال على مبدأ التواصل الإنساني في بدايتها (المنطلقات المعرفية) ونهايتها معا (المآلات والنتائج) .

إن علوم الإعلام والاتصال تعتبر حقلا بحثيا قاسيا وشديدا تجاه مقوماته المعرفية، لأنه ومع مطلع الألفية الثالثة إلى يومنا هذا لازال يؤاخذ نفسه بالمسائلة والنقد فيما يخص المفاهيم والمنهجيات التي استوردها من العلوم والحقول المعرفية الأخرى، ولم يتوقف لحد الآن عن سؤالات من قبيل: هل بقية العلوم تمتلك مقوماتها المعرفية الخالصة؟ ألا تستمد علوم الاجتماع والنفس والاقتصاد في الإنسانيات والفيزياء والرياضيات في التجريبيات العتاد المفاهيمي والنظري والمنهجي من بعضها البعض بشكل من الأشكال؟ هل يمكننا القول أن فعل التطفل الذي وسمت ووصمت به علوم الإعلام والاتصال **(Interdisciplinary encroachment of media and communication studies)** يعتبر حكرا على هذه العلوم فقط ؟ أم أن العلوم والحقول الأخرى لها حظ منه باعتباره شرطا لوحدة العلم وهدفا عقلانيا في مسار المعرفة العلمية؟ ألا تعالج علوم الاجتماع ظواهر التفاعل والعلاقات الاجتماعية من زوايا اتصالية ؟، كلها أسئلة ينبغي لمنتسبي هذا الميدان الإجابة عليها لكي يسير هذا الأخير في تكوين قواعده الإبستمولوجية والمنطقية دون أي إحراج أو التباس، وبالرغم مما سبق تجدر الإشارة إلى أن الاعتقاد بالفصل بين الاختصاصات والعلوم قد ينتهك وبشكل صارخ تلك الحوارية التي تقتضيها عمليات البحث في الظواهر بين مختلف العلوم وميادينها، فمن الناحية المنطقية نرى أن مبادئ التداخل و التحاقل و التناهج والتلاقح بين العلوم هي مبادئ جوهرية في فلسفة العلوم وتاريخها والقول بما يناقض مقتضاها معناه إعلان موت التواصل بين الإنسان وأخيه الإنسان ضمن مجتمع المعرفة من الأساس .

وقد عبر **(Peters)**عن هذا المبدأ الأصيل في فلسفة العلوم بقوله أن معظم التقاطعات التي تحدث ضمن تعددية التخصصات وعبرها **(Inter And Trasdisciplinarity)** هي شكل من الممارسات المفيدة في جوهرها وينبغي تشجيعها من أجل التخفيف من تشتت المعرفة بين هذه الحقول.[20]

ومن بين أشد المنتقدين للفكرة التي تدعو إلى الفصل والقطع بين العلوم والاختصاصات العلمية نجد الفيلسوف وعالم الاجتماع **(Edgar Morin)** الذي يرى أن دعوى الفصل هاته لا نجني منها غير الاختزال والتجزئة والتبسيط **(Simplification and Reduction Paradigm)**وبالتالي تشويه الظواهر وعدم فهمها بالقدر الكافي كونها تتواجد في حالة التعقيد تلك الحالة التي يتواجد فيها الوجود الإنساني ككل.

وفي نفس السياق نجده يدعو إلى محاولة تبني ما أسماه براديغم التعقيد والتعاطي مع الفكر بكونه مركبا **(Complexity Paradigm and Complex Thought)** من خلال عدم الفصل فيما بين الظواهر وعدم عزلها عن بعضها البعض وتناول الواقع الخاص بها على أساس تفاعلاتها وتعدد أبعادها ضمنه، وفي هذا الصدد يقول: " لم أستطع أن أستسلم أبدا للمعرفة المجزأة، ولا أعزل موضوعا للبحث عن سياقه ومقدماته وصيرورته. تطلعت دائما إلى فكر متعدد الأبعاد".[21]

لقد شكلت التقنية – ولازالت كذلك – حيزا كبيرا من التنظير في الانسانيات بشكل عام وفي علوم الإعلام والاتصال بشكل خاص حينما بدأت رحلة النقاش العلمي الأولى تخوض في مسائل الآلة التي تمكن من صنعها الإنسان ومن ثم مكن لها اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا بالقدر الذي يوحي بأن عمليات الأتمتة و الرقمنة باتت هي غاية الإنسان المعاصر ومبتغى عقلانيته حتى عرف القرنين ال 19 وال 20 بقرني الثورة الصناعية والثورة التكنولوجية و الذي تصاعدت خلالها الادعاءات بأهمية التقدم العلمي والتقني في تحسين جودة حياة الانسان وأن طابع التقدم المرهون بالتكنولوجيا حصرا، هو الكفيل الوحيد بحل مشكلات هذا الكائن البشري وجعله يمتلك زمام السيطرة على الطبيعة والعالم والأشياء من حوله، وهاته الرؤية كانت تحركها دوافع النزعة العلمية البحتة **(Scientific Tendency)** ونزعة التحرك السريع نحو تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية بالكفاءة المطلوبة وهو الأمر الذي بقدر ما نستخلص منه العديد من الإيجابيات المحققة على مستوى ميادين المعرفة والاجتماع الإنساني بقدر ما ننتهي إلا لحظات إدراك عنيفة تجعلنا في قلب الحيرة التي أفرزتها التقنية بشكل عام من مخاوف مستجدة يلوح شبحها في الأفق وأخرى مستقبلية تجعلنا نعيد النظر في كل ما يخص التكنولوجيا وعلاقتها بنا وبعالمنا المعيش إن على المستوى الجزئي في تفاعلنا معها ضمن أبسط المظاهر **(Micro)**، أو على صعيد المستوى الكلي والبنيوي الذي تتواصل تعقيداته إلى الآن **(Macro)** .

لقد عرجت مدرسة فرانكفورت الألمانية **(Frankfurt School)** من خلال بعض إرهاصات روادها على هذه المسألة وبرهنت على أن التقنية يمكن لها أن تكون في قلب اهتمامات البحث السوسيولوجي والاتصالي لما أصبحت عليه من سمات وخصائص تظهر مدى الهيمنة وحجمها على الأفراد والمجتمعات لا سيما تلك المجتمعات الغربية التي نخرت الرأسمالية قوامها وبنيتها المجتمعية في صور وأشكال تأرجحت هنا وهناك من الصناعة في عوالم الاقتصاد إلى الإنتاج الأدبي والإعلامي وما يحتويه من فنون ومحتويات وصناعات ثقافية في عوالم الإعلام والأدب وصولا إلى الممارسات الاجتماعية الجديدة التي كرستها كل هذه الأشكال الوافدة .

وفي خضم الحديث عن طبيعة العلاقة بين التقنية والتنظير في حقل الإعلام والاتصال نجد أن ما يشير إلى ملامح هاته العلاقة هو ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني وأحد أبرز رواد مدرسة فرانكفورت (**هربرت ماركوز1898**) حينما دعا من خلال كتاباته وبعض أفكاره إلى

[20] John Durham peters, The Gaps of Which Communication Is Made, Critical Studies in Mass Communication, 11, 2, 1994, p 117-140.

[21] إدغار موران، (2004)، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: منير الحجوجي و أحمد القصوار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، ص 10.

نقد الرأسمالية ومساءلتها على اعتبار أنها نظام للهيمنة يقوم على التحكم والسيطرة على الأفراد وجعلهم مستلبين ومغتربين عن كيانهم الحقيقي تحت طائلة ما أسماه بالصناعة الثقافية (**The Cultural Industry**) - لتتحول فيما بعد إلى مفهوم الصناعات الثقافية (**The Cultural Industries**) - والتي تعبر في مجملها عن أن الثقافة باتت عبارة عن سلعة يتم تداولها والتعامل معها بمنطق الاقتصاد وبالتالي فقدان قيمتها المركزية ضمن المجتمعات الإنسانية، خاصة ضمن تكنولوجيا الإعلام الذي يرى **ماركوز** أنها مكنت من إنتاج إنسان سطحي التفكير والذوق وساذج منقاد بكل سلاسة من طرف تلك الصناعة الثقافية التي جعلت منه في نهاية المطاف ما عبر عنه في عمله الفكري والفلسفي الرائد (بالإنسان ذي البعد الواحد) وهو عنوان كتابه الذي حمل في طياته أبرز تحليلاته وطروحاته الفكرية حول الدعوى الصريحة والناقدة من أجل تحقيق الثورة الاجتماعية بغية تحرير الأفراد من سلطان الرأسمالية وبشكل موازي التأسيس لمجتمع قوامه العدالة الاجتماعية، المساواة والحرية التي ينشدها الجميع.

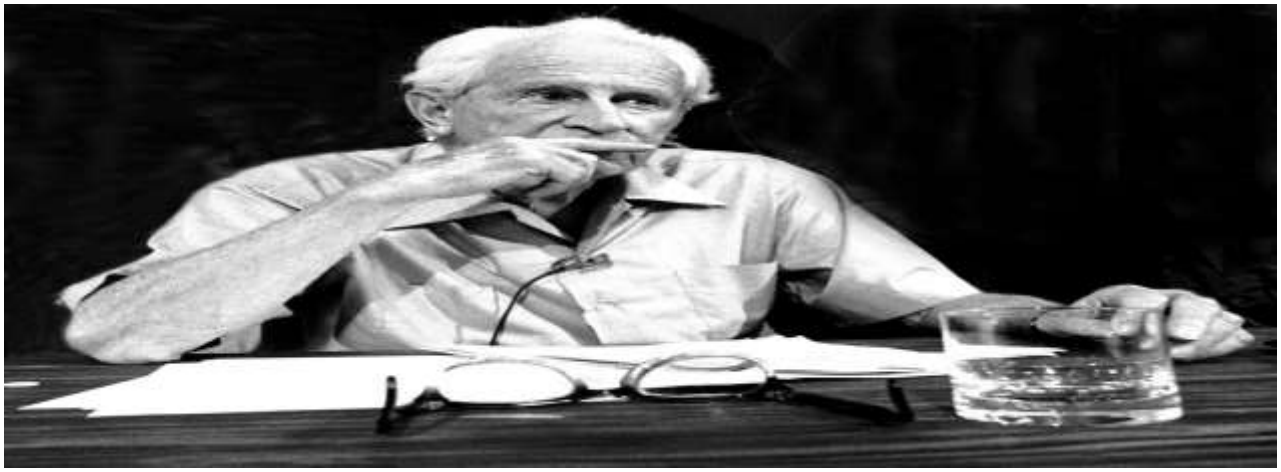

صورة ملتقطة للفيلسوف **هربرت ماركوز** من أحدى المقابلات عام 1978.[22]

وقد شهدت الأدبيات النظرية لحقل الإعلام والاتصال على مر العقود والسنوات السابقة اسهامات تصب في صالح فلسفة هذا الحقل وفي صالح خزانته المعرفية وحتى أدواته المنهجية، كيف لا وهو الحقل الذي لعبت فيه وسائل الإعلام (بصفتها التكنولوجيا الغامرة للجغرافيا الغربية خصوصا وللعالم ككل عموما) دورا بارز الأهمية من خلال اعتبارها من قبل الكثير من المفكرين منطلق التأسيس المنطقي و الفكري والمفاهيمي له ولكيانه الإبستمولوجي وهو ما ترجم في الدراسات والأبحاث الأولى التي تندرج تحت أنموذج التأثير (**The effect Model**) ذلك الأنموذج الإرشادي الذي حاول أن يحلل تأثيرات وسائل الإعلام تحليلا سلوكيا يقوم على أسس سيكولوجية و اجتماعية حينما انتهت أبرز نظرياته الإعلامية (نظرية الحقنة تحت الجلد) لصاحبها العالم السياسي **هارولد دو ايت لاسويل** (**Harold Dwight Lasswell 1902-1978**) ، -ذلك الأستاذ المفكر الذي ساهم بشدة من جامعة شيكاغو من عام 1922 إلى عام 1938-، إلى نتيجة مفادها أن وسائل الإعلام تؤثر بشكل مباشر وسريع من خلال تصديرها للرسائل الاتصالية التي تحقن على الفور وبصورة انسيابية في أذهان الأفراد المتلقين محدثة بذلك استجابات سلوكية لا يستطيع هؤلاء أمامها حيلة للمقاومة ولا مخرجا لكبح قوتها وسحرها، لذلك فمقولة التأثير المباشر كانت بمثابة التبرير النظري والمنهجي على المبدأ القائل أن التقنية هي محرك ووقود مشاريع التنظير الفلسفي والاتصالي التي أسست

[22] beers and politics, ENTREVISTA A HERBERT MARCUSE, 1978 (SUBTÍTULOS EN ESPAÑOL), 2017, viewing date : (19/05/2024), https://beersandpolitics.com/entrevista-a-herbert-marcuse-1978-subtitulos-en-espanol .

لحقل علوم الإعلام والاتصال ودفعت به نحو الأمام وجعلت له ميزة الانفتاح و التعدد **(Transdisciplinary)**، كما جعلت منه حقلا بحثيا للكشف البيني القائم على حوار التخصصات وتفاعلها المستمر، والذي يعتبر مجالا علميا يعرف بمجال الأبحاث والدراسات البينية **(Research and Interdisciplinary studies)** ليساهم فيه كل من ينتمي لحقول البحث المجاورة له ويضيف له كل من يشغله هذا المبحث المعرفي الفتي والمزعج في الآن نفسه .

Source: University of Chicago Photographic Archive, apf1-03681, Hanna Holborn Gray Special Collections Research Center, University of Chicago Library.
http://photoarchive.lib.uchicago.edu/db.xqy?one=apf1-03681.xml
Notes: The photo was taken in 1935 when Lasswell was assistant professor of political science at the University of Chicago (1922–1938).

صورة ملتقطة في جامعة شيكاغو سنة 1935 **لعالم** السياسة وصاحب دراسات وأبحاث تأثير الدعاية **هارولد لاسويل**.[23]

ولم تقف مسألة اعتبار التقنية ذات علاقة قوية بانطلاق علوم الإعلام والاتصال وبداية الكتابات النظرية المحللة للمشهد الاجتماعي والثقافي والسياسي عند هذا الحد، بل استمرت جهود مجموعة من الرواد الذين انبهروا بالظاهرة الإعلامية والاتصالية وأحسو أنها ظاهرة تستدعي الانكباب حولها في صورة القلق المعرفي الذي تثيره التساؤلات تارة هنا وتارة هناك، حتى شهدت الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات محاولات عديدة دعت من خلال وجهات نظر أصحابها إلى إعادة النظر فيما يخص مفهوم التأثير (**كمفهوم مركزي آنذاك يسلم به الجميع دون التجرؤ على تفنيد سطوته**) والتوجه إلى بعض المفاهيم التي أبانت عنها سيرورة البحوث الاجتماعية والإعلامية والسياسية من قبيل مفاهيم (عوامل الانتقائية، التأثير الشخصي، أهمية الجماعات الأولية والمرجعية في عملية التأثير، قادة الرأي، التعرض، الإدراك ... وغيرها) وهي مفاهيم تعبر في مجملها عن تيار السوسيولوجيا الوظيفية التي تجرأت نوعا ما عن ادعاء التأثير المباشر وهو ما نجده في آراء وتصورات كل من (**لازارسفيلد، بيرلسون، هازل غوديه ايرسكين، إلهيو كاتز**... وغيرهم) ليأتي بعد مسار زمني أكاديمي طويل -كان متمركزا على التحليل حول مفهوم التأثير كأنموذج سائد- هؤلاء ويضعون أساسا جديدا تطرح من خلاله وجهات نظر جديدة وملفتة تخرج بعلوم الاتصال من ديمومة بحوث التأثير متوجهة إلى أبحاث مستجدة يكتسبها الطابع الميداني على مستوى المنهج والأدوات التحليلية تعنى بأنموذج جديد بالكلية يعيد الاعتبار إلى المتلقي بعدما ظل التحليل العلمي يسائل مصدر التأثير لمدة طويلة، فكان بذلك

[23] Terhi Rantanen, (2024), Dead Men's Propaganda (Ideology and Utopia in Comparative Communications Studies), LSE Press, 01, p 52.

ظهور ما يسمى بأنموذج التلقي (**The Reception Model**) حيث تحول السؤال المعرفي من ماذا تفعل وسائل الإعلام بالجمهور؟ إلى ماذا يفعل هذا الجمهور بوسائل الإعلام يا ترى ؟ وطرح فكرة جديدة ترجح كفة الجمهور المتلقي للرسائل الإعلامية واصفة إياه بالجمهور (المتلقي النشط) وهي الفكرة التي تشير على مستوى أبعادها أن هذا الأخير قد يكون له القدرة على مقاومة التأثير وكبح جموحه وفيضه المنبعث من وسائل الإعلام ورسائلها الدعائية.

صورة ملتقطة لعالم الاجتماع والرياضيات النمساوي الأمريكي **بول فيليكس لازارسفيلد** وهو في سن الأربعين، مؤسس مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية بجامعة كولومبيا 1901-1976.[24]

[24] Wikipedia, Paul Lazarsfeld, 30/04/2024, viewing date: (13/05/2024), https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Lazarsfeld .

صورة لعالم الاجتماع الأمريكي والباحث في مجال الاتصال السياسي **برنارد بيرلسون** 1912-

[25].1979

صورة للباحثة وعالمة النفس **هازل غوديه ايرسكين** المهتمة ببحوث الإذاعة والمنتمية لمكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية والمشاركة في تأليف كتاب (**اختيار الشعب**) **مع بول لازارسفيلد** و **برنارد بيرلسون** في عام 1944.[26]

صورة للسوسيولوجي (**إلهيو كاتز**) الذي تأثر بشدة بأعمال **لازارسفيلد** والذي كان شديد الاهتمام بالظواهر الإعلامية والاتصالية 1926-2021.[27]

[25] Thomas fernàndez, Tamaro Elena, Biografia de Bernard Berelson, 2004, viewing date :13/05/2024, https://www.biografiasyvidas.com/biografia/b/berelson.htm
[26] RESEARCH, ROPER CENTER FOR PUBLIC OPINION, Hazel Gaudet-Erskine, n.d, viewing date: 13/05/2024, https://ropercenter.cornell.edu/hazel-gaudet-erskine .
[27] Wikipedia, Elihu Katz, 2024, viewing date: 14/05/2024, https://fr.wikipedia.org/wiki/Elihu_Katz .

إن سؤال هل التقنية ساهمت في دفع حركة التنظير في علوم الإعلام والاتصال؟ لهو سؤال متجاوز اليوم إذا ما نظرنا إلى تاريخ المساهمات النظرية لمختلف أعضاء الجماعة العلمية في حقل الإعلام والاتصال، ويؤكد ذلك أن كل التحليلات والطروحات العلمية التقت لتناقش الاتصال ووسائله بأي شكل من الأشكال سواء من قريب أو من بعيد.

وتأكيدا لذلك نجد أن حقل علوم الإعلام والاتصال وارتباطه ببقية العلوم والحقول الأخرى لم يكن ارتباطا عفويا دون أي مقدمات، بل على العكس تماما، لأن تعددية علوم الاتصال وتقاطعها مع فروع المعارف الاجتماعية والإنسانية ولدت الحاجة لهذا الارتباط وجعلت منه وصلا وارتباطا حتميا وضرورة علمية أملتها ظروف التقاطع والتداخل بالإضافة إلى عوامل أخرى أيضا.[28]

ناهيك عن أن الحياة المعاصرة شكلت بروز تقنيات الاتصال ووساطتها ضمن الفضاءات الرقمية بصورة متنامية على مستوى تطوير منصات التواصل الاجتماعي والشبكات فالكتابات الموجهة نحو الميديا الاجتماعية وجمهور مستخدميها وتأثيراتها أعادت إنتاج مبدأ (التكنولوجيا في صميم التنظير العلمي لهذا الحقل المعرفي) وأيضا ما تشهده السوق الرقمية اليوم التي تغرق بكثافة عالمنا بتطبيقات وأدوات الذكاء الاصطناعي، ولازالت تناقش كل الظواهر التي -أو تكون سببا في وجودها- تطرحها الوسائل حتى بات اليوم الحديث أكثر عن الوسيط بدل الوسيلة لما يفرزه من تعقيد ضمن الوجود الاجتماعي الواقعي وأيضا ضمن الوجود الاجتماعي الرقمي أو الافتراضي، وهو ما نجادل به هنا مؤكدين على أن ملامح العلاقة بين التقنية كمتغير في عالم (الأمس و اليوم) وبين فعل التنظير السوسيو-اتصالي والإعلامي جلية وواضحة وغير قابلة للتشكيك في مظاهرها .

فوساطة ال **AI** تجعل مجال الذكاء الاصطناعي كمجال علوم الإعلام والاتصال الذي يستند ويتكئ على تخصصات أخرى، لاسيما وأن عمليتي البناء الفلسفي والفكري لهذا الحقل المعرفي بقيت لسنوات عديدة تنهل من مسوغ أن الاتصال علم ملتقى **(Science Jonction)** يجد تطوراته حينما تدرس وتعاين الظواهر الإعلامية والاتصالية من خلال فكرة التحاقل المعرفي والتناهج المنهجي بين العلوم.[29]

وقد تحيلنا فكرة العلائقية القائمة بين الذكاء الاصطناعي وعلوم الاتصال إلى طرح سؤال جاد ومستجد حول إمكانات تلاقي هذين الحقلين المعرفيين، من منطلق أن علوم الإعلام والاتصال هي الأولى بجوار هذا العلم – الحديث نسبيا- بأدواته وأنظمته وتقنياته وأنه إن كان من أمل لإقامة علاقات بحثية فإن الاتصال هو الحقل المبادر لتفعيل شراكات ومشاريع بحثية تربط بين العلمين، لاسيما وأن الحاجة أصبحت متزايدة تجاه مجالات الذكاء الاصطناعي الذي نعتبره وعاء بحثيا يحتوي على إشكالات مغرية بالنسبة لباحثي الاتصال الرقمي والوساطة الرقمية .[30]

المبحث الثالث: المساءلة الإبستمولوجية لاستخدامنا لأنظمة الذكاء الاصطناعي (النقد المعرفي للعلاقة الاتصالية).

المطلب الأول: وجهة نظر متواضعة حول تيار المستخدمين المتفائلين بإمكانات تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي.

تتعدد غايات الذكاء الاصطناعي تبعا لمنطق تطوير أدواته ومجالات خدمتها واشتغالها ولكن الغاية الكبرى والهدف المحوري يتمثل في جعل المهام التي يستطيع العقل البشري تنفيذها ممكنا من قبل الكومبيوتر، وغالبا ما يتم وصف هذه المهام مثل (مهمة التفكير) بصفة (الذكاء)،

[28] رضوان بوجمعة، ابستمولوجيا علوم الاتصال : أزمة فهم بنية الاتصال في المجتمع الجزائري، المجلة الجزائرية للاتصال، الجزائر، 09، 18، 2004، ص 13 .

[29] يعقوب بن الصغير، المشروعية الابستيمولوجية في نقل المفاهيم العلمية إلى حقل الاتصال – ثنائية النقل الميكانيكي و التبيئة –، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، الجزائر، 05، 01، 2020، ص 183.

[30] يعقوب بن الصغير،(2023)، المسألة الرقمية وفتوحات الذكاء الاصطناعي : نصوص فكرية في ضوء الراهن الاجتماعي التواصلي، فهرنهايت 451 للنشر والترجمة، ط1، ص 122-123.

ولا يتضمن الذكاء الاصطناعي بعدا واحدا فقط، بل يشمل عديد الأبعاد حيث يعتبر مساحة غنية بالقدرات المتنوعة لمعالجة المعلومات والتنظيم، وبالتالي فهو يقوم على مجموعة من الأساليب التقنية التي تنفذ مختلف المهام .[31]

إذا كان **نيك كولدري (Neck Couldry)** في كتابه أخلاقيات الإعلام **(Ethics of Media)** يرى أنه لايمكننا أن نعيش بشكل مكثف مع وسائل الإعلام التي تعتبر اليوم جزءا لا يتجزأ من حياتنا المعاصرة التي تتغلغل فيها محتويات الإعلام وأجهزته بشكل متزايد، دون أن نثير التساؤلات حول الأبعاد الأخلاقية لهذه الحياة .[32] فماذا عن تقنيات وأدوات الذكاء الاصطناعي التي غزت كل حوائط المستخدمين الرقمية ومنصات التواصل التي ينشطون فيها ويتواجدون باستمرار داخلها؟ هل هناك احتمال ما لمناقشة ما تطرحه علاقتنا بهذه الوسائطية الموجودة في فضاءاتنا الرقمية سواء أخذ النقاش طابعا إيجابيا يمثل فريق المعجبين بهذه الديانة الجديدة (ديانة الوسيط الذكي والخارق) أو طابعا سلبيا متشائما تجاهها وتجاه كل ما يمكن أن يترتب عنها؟

إن إغراق عالم اليوم المعاصر بتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتنافس حول التحسينات المستمرة لنماذجها اللغوية الكبرى والمسارعة نحو تدريبها بما يضمن المزيد من الكفاءة والقدرة على اتخاذ أعقد القرارات من قبل الشركات المصنعة والمطورة – المشدودة بأمل الربح الاقتصادي الجشع – لهو نشاط نعتبره تمثيلا صريحا وتجسيدا قويا لما وصلت إليه عقلانية الكائن البشري في سبيل تحقيق التطور والسعي لضمان امتيازات مجتمعات الرغد والرفاه على مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كيف لا وهي تكنولوجيات وأدوات تمكن للكائن البشري أن يتحكم في زمام السيطرة على الأشياء من حوله إلى أبعد الحدود، فمع وجود شاتبوت **(Chatbot)** الدردشة الذي يمكن استدعاؤه من جيب المستخدم بكل سهولة لسؤاله عما إذا كان يعرف حيثيات تلك القضية أو بعض التفصيلات المتعلقة بإحدى المسائل المعرفية والعلمية أو بتقديم بعض الحلول على وجه السرعة لمشكلة ما يواجهها المستخدم، يمكننا أن نقرر بأن هذا الشكل المستجد من التكنولوجيا بات يمثل أبهى يوتوبيا يمكن للإنسان أن يتخيلها حيال علاقته بالآلة، تلك المثالية المتخيلة التي تجعلنا نتصل بهذه الأدوات ونسلم لها أنفسنا وذواتنا من خلال إقامة الحوارية الاتصالية معها لما يفوق ربما الدقائق بل الساعات بصفة دورية آملين – على يقين ذاتي بتحقق هذا الأمل – أنها في خدمتنا وهو ما يثبته واقع استخدامنا لها من دون أي تشكيك.

فمحرك غوغل الذي كان ملاذنا عند كل محاولة بحث أو سؤال - الذي يشتغل هو الآخر بأنظمة وخوارزميات الذكاء الاصطناعي – بات الآن لا يغرينا بالشكل المطلوب لماذا ؟ لأن بوابات الدردشة السريعة والفورية والنماذج اللغوية الضخمة مثل : **(Bard, Lamda, Gpt3 and Gpt4, GPT4-o, Alexa, Jarvis, Gemini, Copilot, Perplexity, Poe, claude ...)** أصبحت تلبي حاجات المستخدمين وفق أوامر ومطالبات **(Prompt)** بسيطة وبشكل يجعل كل الوسائط المتاحة تستنفر لتوليد المحتوى المميز والدقيق والجذاب الذي لطالما بحث عنه المستخدم وبحث عن سرعته في تلبية الطلب وتقديم يد المساعدة، ما يعني أن أنظمة الأدوات التي تشتغل وفق منطق رياضي بالغ التعقيد ووفق خوارزميات شديدة التصفية والتوصية باتت توفر لنا كمستخدمين نمط التواصل الذي نسميه التواصل المنفعي والمفيد **(Beneficial communication)** الذي يتمظهر حينما يجد المستخدم ضالته وهو يملي مجموعة من المدخلات **(Inputs)** الفورية كطلب إعداد خطة لعمل ما أو شرح مستفيض لموضوع ما على سبيل المثال، لتترجم رغبة المستخدم وتشبع حاجته في أقل من دقيقة أو في بضع ثواني أحيانا إلى مخرجات **(Outputs)** في غاية الدقة كما كان يرغبها المستخدم أو أفضل، وهو ما يطلق عليه في علوم التفاعل بين الإنسان والحاسوب **(HCI)** بمحورية المستخدم في قلب عمليتي التطوير والتصميم والذي يعبر عنها بالصيغة المختصرة التالية : **(UCD)** المأخوذة من العبارة **(User-centred design)** أي عملية التصميم التي تركز على المستخدم بالدرجة الأولى والتي يتم بناؤها وفقا لما يسمى ببحوث

[31] إيه مارجيريت بودين، (2022)، الذكاء الاصطناعي، ترجمة: إبراهيم سند أحمد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، ص 11 .

[32] Nick Couldry, Mirca Madianou, Amit Pinchevski, (2013), Ethics of Media, Palgrave Macmillan London, 01, p 02.

تجربة المستخدم **(user experience research)**، وعليه فالاتصال بين المستخدم وأدوات الذكاء الاصطناعي بحسب تيار المتفائلين به يدور في مجمله حول تلك الأهمية التي يشعر بها الانسان المستخدم وهي أهمية مستمدة من المنفعة المحصلة من استخدامنا لأنظمة ال **(AI)** .ولأن الثورة الرقمية هي قبل كل شيء ثورة في الطريقة التي تنتج بها مجتمعاتنا المعرفة وتتشاركها وتستخدمها بتعبير **دومينيك كاردون** في كتابه الثقافة الرقمية **(Culture numérique)**،[33] فإن للتكنولوجيا الرقمية سطوة قوية على المخيال الفردي والجماعي في الفضاء العام دون أدنى شك ولكن الإبهار الأساسي يكون من نصيب العقل البشري الذي ابتكرها وجعلها تكنولوجيا يتنفسها المجتمع برمته، وكون أدوات الذكاء الاصطناعي أحد هذه التكنولوجيات وربما أكثرها إبداعا وابتكارية يجعلنا مطالبين بإبراز بعض من الإيجابيات التي تحققها لجمهور مستخدميها والتي نذكر منها على سبيل المثال:

في الحقيقة لا يمكننا حصر كل الوظائف والايجابيات التي توفرها أدوات الذكاء الاصطناعي ولكن بإمكاننا أن نقتصر على برنامج تشات جي بي تي 4 **(ChatGPT-4)** الذي ارتبط الذكاء الاصطناعي به في المخيال العام للأفراد من خلال تعداد ما يوفره هذا الأخير للمستخدم:[34]

- المساعدة في الكتابة، ككتابة رسائل البريد الالكتروني من خلال امتداد **(ChatGPT Writer)** والاستجابة المبرمجة على رسائل البريد الواردة بشكل محترف، كما يمكنه الرد على رسائل بعض منصات الدردشة من خلال امتدادات أخرى كالتلغرام و الواتس آب.

- قدرته على استجلاب أحدث المعلومات على شبكة الانترنت مع الاحالات على مصادرها من خلال امتداد **(WebChatGPT)**.

- توفير إمكانية الدردشة الصوتية بدل الكتابة من لوحة المفاتيح من خلال إملاء المطالبات الصوتية من طرف المستخدم وذلك عن طريق امتداد **(Promptheus)**.

أما إيجابيات الذكاء الاصطناعي بشكل عام فيمكن أن نوردها كالآتي:

-توفير الكفاءة العالية وتخفيض مصاريف الإنتاج وتأمين وسائل الاتصال والنقل والخدمات بأقل الأثمان.

-القدرة على معرفة الأحداث والتنبؤ بها وبالكوارث الطبيعية.

-تحسين المستوى الصحي للبشر من خلال الاعتماد على الأدوات الذكية في العلاج وتوفير الخدمات الطبية.

-ضمان نسب عالية من التنمية الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية.

-انسيابية الأعمال وربح واختصار الوقت من خلال حلول الآلات الذكية محل العنصر البشري لاسيما في قطاع الأعمال والخدمات العامة.[35]

وإلى هنا نكون ربما قد أثرنا نقاشا يظهر بعض الإيجابيات التي يدخرها أولئك المغرمين بالتسارع التقني للتبرير المستمر لهذا الإعجاب وهذا الاحتفاء.

المطلب الثاني: نزعة التشاؤم حول الذكاء الاصطناعي واستدعاء الماكلوهانية من جديد: التقنية في قلب الاتصال أم العكس؟

[33] Dominique Cardon, (2019), Culture numérique, Presses de la fondation nationale des sciences politiques, 01, p 05 .

[34] فضيل دليو، (2023)، قضايا معاصرة من الملكية الفكرية إلى الذكاء الاصطناعي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، ص 213.

[35] أميرة سابق، (2024)، الذكاء الاصطناعي رؤى متعددة، المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، برلين-ألمانيا، ط1، ص 24-25 .

إن ما نسعى إليه هنا هو بكل تأكيد الوقوف على مسافة قريبة من أولئك الذين تحكمهم نزعة التشاؤم حول التقانة بشكل عام وتكنولوجيات الذكاء الاصطناعي بشكل خاص، لفهم مدى وعيهم بالمشكلة التي يبصرونها والتي لا تظهر لنا نحن لأننا دائما ما نحب أن نرى ما يسعدنا ونتفادى كل رؤية قد تلمح بالخطر القريب الذي يحدق بنا كمجموعة بشرية على رحاب هذه البسيطة.

ومع ظهور (المعبودين الجدد) **(New Idols)** (الاستهلاك، العلم، التقانة أو التكنولوجيا) كما يصطلح على تسميتهم **توماس دو كونانك** في كتابه " **الجهل الجديد ومشكلة الثقافة** "[36] ، لابد من مساءلة تاريخ التطور العلمي والتقني الذي جعل مسألة ظهور هذه الموضوعات ممكنة من ناحية أنه بإمكانه دوما أن يسهم – أي تاريخ هذا التطور – في إعلان شكل جديد من الأصنام المغرية، مع مراعاة أهميته ضمن مسارات العلوم والفلسفات المختلفة.

وبالرغم من أننا غالبا ما نتعامل مع الشأن التاريخي بشكل من الاستحقار على مستوى الوعي والتصور، إلا أن هذا الأخير يوبخنا باستمرار حينما نجده يلقي بظلاله دائما في كل محطات العلوم وكل نتائجها وبأشكال وصور متعددة، ذلك أن كل العلوم والمعارف الإنسانية التي بلغت حدا معتبرا من التقنين هي عبارة عن تاريخ من التصورات وتاريخ من الارهاصات والأفكار وتاريخ من المفاهيم وتاريخ من التجارب والمحاولات المستمرة.

وعليه فيمكن اعتبار أدوات الذكاء الاصطناعي بمثابة الأصنام الجديدة التي يخضع لها المستخدمين دون أدنى وعي بعواقبها وتداعياتها المستقبلية، وغير متسائلين حول تكلفة هذا النوع من الحوار والتواصل بينهم كبشر في طبيعتهم الأساس وبين هذه التكنولوجيا الغامرة التي هي من طبيعة آلية مصطنعة، ولعل أخطر سؤال يمكن أن يعبر عن حالة الوعي الوجودي لدى البشر اليوم هو ما إذا كان سيأتي يوم ليثأر فيه الذكاء الاصطناعي لنفسه عن كل دقائق استخدام منحها لنا، وتلك الأوامر والمطالبات المتعسفة التي نطلبها من أدواته باستمرار ليجيب عنا وعن ما نبحث عنه بكل دقة يصاحبها نوع من الاحترام والود واللباقة .

إن كل استهانة بالعلاقة القائمة بيننا كمستخدمين وبين الذكاء الاصطناعي هي عدم فهم لمخاطر الآلة على البشر، فمن وجهة نظر اتصالية تعتبر بنية الدردشة مع الروبوتات وأدوات المحادثة الذكية المتناثرة في كل أرجاء شبكة الإنترنت، تأكيدا صريحا وفعليا لمقولة مدرسة (**بالو آلتو**) **(Palo Alto School)** التي نادى بها ذات يوم أحد أبرز روادها والمنتسبين لها (**بول و اتسلافيك**) قائلا : " **لا يمكننا إلا أن نتواصل**" بمعنى أن التواصل كفعل له صفة الاستمرارية وله صفات عديدة تأخذ معناها من وجوده كفعل يمارس بين الأفراد عن طريق اللغة والكلام كما تأخذ معناها أيضا من عدم وجوده في حالة الصمت وعدم الاتصال فعدم الاتصال هو نوع آخر من الاتصال أيضا، هذا من حيث علاقات الأفراد الاتصالية وتفاعلاتهم الاجتماعية أما من ناحية علاقتنا كمستخدمين لأدوات الذكاء الاصطناعي فنحن نزودها بالبيانات بشكل مستمر في صيغة أسئلة وهي تطلب المزيد من خلال ردودها التفصيلية و التشبيكية والمترامية الاحالات بصورة تحيلنا إلى تكرار السؤال للحصول منها على إجابات أكثر تنوعا وعمقا وتفصيلا وحتى تعقيدا وبالتالي الدخول في حلقة التواصل والاستمرارية فيه ولا شيء غيره، ولا يمكننا أن نتوقف عن التواصل معها لأنها تعمل وفق أنظمة تجعل حتمية استعانتنا بها ذات سلطة وذات نفوذ حتى وإن كان الأمر خفيا وغير ظاهر أو معلن، وإذا اعتبر **و اتزلاويك** أن " **كل اتصال هو محاولة للسيطرة** " على مستوى الاتصال الإنساني فمن باب أولى اعتبار هاته المحاولة مشروعة ومعقولة على صعيد تلك الرابطة القائمة بيننا وبين التقنية / الآلة، لاسيما وأن هذه الأدوات مملوكة من قبل حفنة من الشركات التي تعيد تشكيل هوية هذا العالم بمجمله وفقا لإيديولوجيتها الجشعة الساعية للربح ولو كان ذلك على حساب كل ما

[36] توما دو كونانك، (2004)، الجهل الجديد ومشكلة الثقافة، ترجمة: منصور القاضي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ص 39 .

هو انساني، مما يجعلنا ربما نتساءل في لحظة وعي وإدراك عن مآلات نمط التواصل المفتوح والتفصيلي بيننا وبين هذه الأدوات التي جعلنا منها أدوات تشتغل وفق مبادئ وأنماط يمكن وصفها بالذكية .

إن اسهامات الباحث الكندي (**مارشال ماكلوهان**) في فضاء المعرفة المتداخل بين التقنية والمجتمع والاتصال الإنساني، تطفو على سطح بحوث الاتصال المرتبطة بالتكنولوجيا والوساطة بكل أنواعها بصفة دورية، وكأن أي ظهور لوسيط إعلامي أو حامل اتصالي جديد هو بمثابة الإشارة التنبيهية أو الإعلان التذكيري للعودة الى استدعاء الرؤية الماكلوهانية **(McLuhanism)** من جديد مع كل مناسبة يمثلها أطراف التحليل الثلاثة (التقنية، الاتصال، المجتمع).

ولعل مقولته الشهيرة (الوسيلة هي الرسالة) **(The medium is the message)** تعتبر من بين المقولات التي تثبت صلاحيتها إلى اليوم خاصة مع ما نشهده من تصاعد للتكنولوجيات والوسائل الرقمية التي يمثل الذكاء الاصطناعي أحد أبرز تجلياتها في الآونة الأخيرة، وكذا فكرة (القرية العالمية) **(Global Village)** التي تجعلنا نخمن ما إذا كانت هاته التقنيات الذكية هي البوابات الكبرى للقرية العالمية في بعدها الرقمي، فالوسيط الذي تكلم عنه **ماكلوهان** إنما تكلم عن سحره ومدى قدرته على التأثير على بنية المجتمعات الإنسانية وكيف يتمثل الأفراد ضمن كل حقبة تاريخية نوعا أو شكلا معينا من الوسائط أو الوسائل بغض النظر عن محتوى هذه الأخيرة التي كان يعتبرها **ماكلوهان** بأنها ليست مصدرا للتأثير على المجتمعات لأن التأثير تولد من تقنيات الاتصال في صميم بنيتها وهيكلها وشكلها، فهو يعتبر أن استخدام التلفزيون أو الراديو أو الكتاب المطبوع أثر على النفسية البشرية ككل وأن هاته الوسائل تعتبر تجارب في حد ذاتها لأنها تغير في مدركات المستخدمين من الجمهور موليا أهمية كبيرة للوسائل كتقنيات اتصالية وإعلامية على حساب مضامينها ورسائلها .

غير أن هناك من الفلاسفة والمفكرين من عارض **ماكلوهان** في رؤيته الواحدية التي ترى أن الوسيط في بعده المادي هو المقدمة الوحيدة لنتيجة التأثير الاجتماعي على الأفراد، فيؤكد كل من (**دولوز و غاتاري**) **(Deleuze and Guattari)** على ضرورة عدم الفصل بين المعنى والمحتوى الرمزي للوسيط المادي الذي يكون فيه هذا المحتوى، أي التخلي عن الرؤية المستندة إلى المقاربة المادية فقط، فمبدأ الحتمية قد يكون مضللا انطلاقا من إعطائه أهمية مبالغا فيها للوسيط المادي الذي يزعم **ماكلوهان** أنه السبب الوحيد لإحداث التغيير التاريخي وكأن التاريخ مرتبط بالتكنولوجيا دون الثقافة البشرية للكائنات الإنسانية.[37]

وبالرغم من رؤيته التي تم وصفها بأنها رؤية حتمية خطية اختزالية، إلا أنه أصاب في كثير من طروحاته حول الوسائل التي شهدها العالم آنذاك حيث كان الانبهار بالتقنيات الاتصالية انبهارا مبررا من قبل الجماهير الذين واكبو ذلك التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال مما نتج عنه أنماط وسلوك اتصالي غير معهود كما هو الحال اليوم عندما نرى الطفرة التقنية التي يحدثها إلى الآن الذكاء الاصطناعي وقلق الدول حوله وحول المسارعة لتبنيه بالاستراتيجيات التي تدعو إلى تفعيل كل ما له علاقة به للاستفادة منه والبحث فيه من أجل استثمار الإمكانات التي قد يوفرها و تجنب أي تداعيات يمكن أن يحدثها.

ويقول هربرت مارشال **ماكلوهان** في موضع آخر أننا (**نصبح ما نراه، نحن نشكل أدواتنا، وبعد ذلك أدواتنا تشكلنا**)[38] ، في إشارة واضحة أن هذه الوسائط لها تأثيرات على المستوى الفردي والجماعي فنحن من ساهمنا في اكتشافها لتعود مرة أخرى لتطويعنا وتشكيلنا وتشكيل ممارساتنا ونظام تفاعلاتنا ونشاطنا التواصلي بالكلية.

[37] Grant Bollmer, (2018), theorizing digital cultures, sage publications Ltd, p 36 .
[38] Goodreads, Marshall McLuhan Quotes (Author of The Medium is the Massage) | Goodreads, (n.d), viewing date: 25/05/2024, https://www.goodreads.com/author/quotes/455.Marshall_McLuhan .

إن أحد أكبر إنجازات **ماكلوهان** هو تسليط الضوء على الوسيط كشيء تقني من جهة، ومن ناحية أخرى على عدم حياده في عمليات الاتصال، واليوم تعمل عدة تيارات وتخصصات أكاديمية على دراسة العلاقات المعقدة بين الأبعاد التقنية والاجتماعية لوسائل الإعلام من منظور مختلف عن الستينيات والسبعينيات، وفي الواقع لم تعد هذه التخصصات تتساءل عما إذا كان الجانب الاجتماعي (الاتصال) هو الذي يحدد الجانب التقني أو العكس. وبدلاً من ذلك؛ تدعو إلى وصف وفهم وتفسير الروابط والعلاقات المتبادلة المتعددة بين الاجتماعي والتقني، وكان من إنجازات أستاذ تورونتو الأخرى أنه أكد على الضرورة المطلقة لاتباع مقاربة متعددة التخصصات تجاه وسائل الإعلام والاتصال، وقد أصبح هذا النهج في التفكير والممارسة هو النهج الذي يتبعه العديد من الباحثين، حتى لو كانت التخصصات التي يمارسونها ويفكرون فيها بعيدة عن تلك التي اعتمدها **ماكلوهان**.[39]

يجيبنا **ماكلوهان** عن سؤال ما إن كانت مسألة التقنية في قلب التواصل أم العكس بأنه سؤال معقد ويجب النظر إليه على مستوى بنية التبادل والتفاعل؛ لأن أنشطة تواصلنا ليست بمعزل عن التقنية بل ضمنها وداخل الفضاءات الرقمية التي أفرزتها التكنولوجيا، وحتى التقنية يمكن أن نقول عنها أنها امتداد لنظام التواصل الذي تتميز به حواسنا تجاه الأشياء في عالمنا اليوم، ومنه فاستخدامنا لأدوات الذكاء الاصطناعي يعبر عن منتهى ما ذهب إليه **ماكلوهان** في افتراضه القائل أن وسائل الاتصال ماهي إلى امتداد لحواس الانسان أي أن فكرة تطويرها مستلهمة من الوظائف التي تؤديها حواسنا، ويمكننا القول أن بعض التقنيات الذكية تعتبر امتدادا لجميع الحواس لما توفره للمستخدم من قدرة على (الكتابة، الكلام، الصور، الفيديوهات، الاستماع ...) وبصيغ عديدة مدمجة تجعل المستخدم في غير حاجة إلى الوسائط الأخرى .

وعلى سيرة المخاوف المتعلقة بالذكاء الاصطناعي والمخاطر الناجمة عنه نجد أن فكرة الخصوصية تكاد تكون ملغية مع هاته التقنيات الذكية التي تطلب من المستخدم التسجيل فيها بحساباته الخاصة (البريد الإلكتروني) والموافقة على كل شروطها وقبول إمكانية مشاركة البيانات والمعلومات الشخصية، وتعاني شركة **(open' AI)** هذه الأيام من مجموعة من المشاكل التقنية، فعلى غرار مشاكل الخدمة الخاصة ببوت الدردشة تشات جي بي تي اتهمت الشركة بسرقة صوت الممثلة (**سكارليت جوهانسون**) بغرض استخدامه في نموذجها الصوتي الجديد، وقد وجهت **جوهانسون** اتهامها للشركة من خلال اصدارها لبيان خاص زعمت فيه أن الرئيس التنفيذي لشركة **(Sam Altman) (open ai)** قد طلب منها سابقا أنه يريد خدمة من أجل الاستعانة بصوتها لنموذج **(Sky)** لكنها رفضت، ليعود بتقديم بعض التوضيحات مرة أخرى قبل إصدار نسخة **(Gpt 4-o)** في شهر ماي من العام 2024 وبعد أيام من إصدار النسخة صدمت جوهانسون حينما سمعت العرض الترويجي للنسخة حيث كان صوت النموذج الجديد مشابها تماما لصوتها التمثيلي حتى أنها قالت أن ذلك التشابه بين الصوتين كان دقيقا بشكل مخيف مما أدى ببعض أصدقائها وبعض وسائل الإعلام إلى عدم التمكن من التعرف على الفرق بين صوت نموذج **(Sky)** وصوت الممثلة **سكارليت**، وقامت الشركة بسحب العرض الترويجي ولكن **سام إلتمان** الرئيس التنفيذي كان قد نشر تغريدة على حسابه في **تويتر** مع إطلاق الشركة للنموذج حيث كتب "**هي**" والتي عدها الكثيرون أنها إشارة واضحة إلى الفيلم الذي يحمل نفس الاسم وهو الفيلم الذي لعبت فيه **سكارليت جوهانسون** دورا تمثيليا بشخصية للذكاء الاصطناعي .[40]

[39] Robert boure, Marshall McLuhan, un penseur des médias à part, 2021, viewing date : 25/05/2024, https://sms.hypotheses.org/24026 .

[40] Barry Collins, ChatGPT Down Again As OpenAI's Bad Week Continues, 2024, viewing date: 27/05/2024, https://www.forbes.com/sites/barrycollins/2024/05/22/chatgpt-down-again-as-openai-investigates-error-messages/?sh=78efe5ae3041 .

أما ما تطرحه التكنولوجيا الذكية اليوم فهو يدعو إلى الواجهة خطابات ما بعد الإنسان وما بعد الحقيقة **(Posthuman and post-truth discourses)** بشكل اضطراري وهو ما نجده في تحليلات فلاسفة الأخلاق وبعض من رجال الفكر الذين يحتجون على هذا الغزو الثقافي والاجتماعي والتقني الذي تمارسه علينا الأنظمة الرقمية دون اعتبار لملكاتنا الإنسانية وقيمنا البشرية المتعالية ومبادئنا الأخلاقية، في ظل عالم سائل يمتاز بالتغير السريع وعدم ثبات ومركزية القيمة التي كانت فيما مضى تتخذ قدرا من الصلابة يجعلها في قلب مواجهة أي محاولة للهيمنة ومقاومتها كما يعبر عن ذلك الفيلسوف **زيغمونت باومان (Zygmunt Bauman)** وتسارع فائق يعتبر سمة مجتمعات الحداثة الذي بات أفرادها مفقودي الصلة بالعالم من حولهم ومغتربين عن ذواتهم نظرا للرنين أو التسارع الذي يخلق ضغطا هائلا وسرعة متزايدة على الحياة الاجتماعية اليوم بتعبير **هارتموت روزا (Hartmut Rosa)** .

فحسب هارتموت روزا فإن براديغم التسارع **(Acceleration Pradigm)** الذي يلون ملامح المجتمعات العولمية المعاصرة أدى إلى استلاب الأفراد وجعلهم يشعرون بفقدان القيمة التي كان يحملها عنصر الزمن في السابق وهو ما نحس به اليوم أكثر من أي وقت مضى ويدلل على ذلك بقوله: أنه " ليس من شك في أن تاريخ الحداثة يزخر بالشكاوى المتكررة بخصوص تسارع وتيرة الحياة بشكل مسعور، إذ أصبح هذا التسارع مسببا للعديد من الأمراض الاجتماعية ومصدرا للتهيجات الفائقة ".[41]

وبإمكاننا أن نذهب إلى أن هذا التسارع الاجتماعي هو تسارع تقني خاضع لعمليات رأسمالية تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي التي تحاول أن تعطي للأفراد حلولا متنوعة وسريعة على حساب وقتهم وزمنهم الاجتماعي كمقابل على خدماتها الكثيرة.

واستتباعا لرؤية التيار المتشائم حيال أدوات الذكاء الاصطناعي واستخداماتنا لها وما يمكن أن يتولد عنها، يمكن أن نبدي مخاوفنا تجاهها إذا ما خرجت الأمور عن السيطرة، نقصد ذلك التحفظ في إصدار أحكام منطقية من شأنها أن تتيح للذكاء الاصطناعي التحكم والسيطرة، لأن النماذج الضخمة للذكاء الاصطناعي التوليدي **(Large Language Models for Generative Artificial Intelligence)** محكومة بقيود مفروضة لا تمكنها من عملية إصدار للأحكام المنطقية بشكل ذاتي ومطلق، وهي قيود فرضها المطورون البشريون، لأن التركيز على الجانب الأخلاقي للعنصر البشري من شأنه أن يعمل على تهدأة المخاوف بخصوص الدور والوظيفة الناشئة للذكاء الاصطناعي في عالمنا ويساند في نفس الوقت الاعتراف بالفاعلية البشرية، وبملكيتها المطلقة لكل الابتكارات التكنولوجية، وبالرغم من ذلك فهناك شكوك تحوم حول استمرارية هذه القيود والتحفظات المفروضة على عملية اتخاذ القرار بالنسبة للذكاء الاصطناعي، فمهما كانت النوايا حسنة فقد تتقادم ويتم التخلي عنها كمبادئ أخلاقية لأن شخصا ما أو مجموعة من الأشخاص أو الشركات ستكون مستعدة لتجربة التهور واطلاق العنان للآلات الذكية تحت حجة الميزة التنافسية، والخوف كل الخوف إذا تم التخلي عن هذه التحفظات والقيود لصالح أنظمة الذكاء الاصطناعي حينها نكون أمام حقيقة تحقق رؤية التيار المتشائم حيال الآلة والتقنية الذكية وسيتم إعلان انقلاب كفة السيطرة والهيمنة من كائن بشري يطوع الآلة لصالحه إلى آلة تتحكم في هذا الكائن.[42]

خاتمة:

[41] زهراء الطشم، هارتموت روزا : التسارع وإقتصاد الزمن، 2022، تاريخ الاسترداد: (2024/05/27)، https://hekmah.org/%D9%87%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D9%85%D9%88%D8%AA-/%D8%B1%D9%88%D8%B2%D8%A7 .

[42] صلاح عثمان، الفلسفة وتعويذة الجي بي تي !، 2023، تاريخ الاسترداد: (2024/05/25)، https://2u.pw/B4n6eQCw .

ختاما يمكن القول أن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي قد باتت موضوعا يسترعي اهتمام الحقل العلمي كما يسترعي انتباه الحقل السياسي الدولي، وهو ما بدأت تظهر ملامحه في الآونة الأخيرة على صعيد طرح مجموعة من الاتفاقيات الدولية التي تنظم مجالات الذكاء الاصطناعي، فعلى غرار كل المحاولات التي تفرضها الدول كافة لتنظيم هذه التكنولوجيا الذكية نجد أنه في أكتوبر الفارط من سنة 2023 أصدر الرئيس الأمريكي (**جون بايدن**) مرسوما رئاسيا يسعى من خلاله إلى التأكيد على الاستخدامات الآمنة للذكاء الاصطناعي وكان من ضمن أهداف هذا المرسوم إرساء قيم التوافق الدولي بشأن مخاطر وتحديات الأنظمة الذكية وجعلها مساهمة في تفعيل التنمية المستدامة[43].

أما على مستوى الحقل العلمي نجد أن مظاهر استخدامات الذكاء الاصطناعي لدى المستخدمين ستشكل مادة دسمة للتحليل العلمي في مختلف التخصصات الاكاديمية والحقول المعرفية نظرا لما تطرحه هذه التقنيات الرقمية من تشابك وتداخل وتأثيرات، فعلوم الإعلام والاتصال من بين الحقول التي لم تتشكل ولم تظهر على الساحة العلمية إلا من خلال الطروحات النظرية والتجارب الميدانية التي كانت بشكل أو بآخر تسعى لفهم وقياس الظواهر الإعلامية والاتصالية المرتبطة بالوسائط ووسائل وتقنيات الإعلام والاتصال وتأثيرات استخدامها على الأفراد والمجتمعات وهو ما يوضح علاقة التقنية كبنية مادية بفعل التنظير العلمي في هذا الحقل، وقد أكد تنامي وسائط الذكاء الاصطناعي اليوم هذا الادعاء وجعله ادعاء حتميا لا يختلف حوله أعضاء الجماعة العلمية إلا ذلك الاختلاف القائم على افتراق هؤلاء إلى نزعتين واحدة متفائلة حول ما يمكن أن يوفره لنا الذكاء الاصطناعي في وجودنا الاجتماعي وحياتنا اليومية، وأخرى مستنكرة لكل إمكاناته التي يفترض هؤلاء أنها على حساب مخاطر وتحديات تلوح في الأفق المستقبلي للإنسان و الإنسانية ككل، وكل مسائلة لما يفرضه الذكاء الاصطناعي علينا كبشر هي مسائلة مبررة علميا وأخلاقيا لاسيما تلك التي تكون في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية والتي بدورها تجعل من مبدأ تداخل الاختصاصات مبدأ ضروريا لفهم هذا الأخير والاستفادة منه ومواجهة مخاطره وتحدياته، كما أن النقاش حول انعكاساته من شأنه أن يرجعنا إلى تاريخ المحاولات الفكرية التي سعت لجعل التنظير العلمي تنظيرا مرافقا للتقنية وموازيا لها تارة ومنتقدا ومحللا لعناصرها تارة أخرى وهو ما ترجمته علوم الإعلام والاتصال طيلة تاريخها من خلال اسهامات العديد من روادها (مارشال ماكلوهان مدرسة بالو آلتو، مدرسة فرانكفورت، مدرسة برمنغهام للدراسات الثقافية، وبعض المتأخرين من فلاسفة الجيل الرابع لمدرسة فرنكفورت كهارتموت روزا وغيرهم).

[43]NIST, Executive Order on Safe, Secure, and Trustworthy Artificial Intelligence, 2024, viewing date: 30/05/2024, https://2u.pw/2zfMjHw2 .

المصادروالمراجع:

1) Bollmer, G. (2018). Theorizing digital cultures. London: Sage Publications Ltd.

2) BOURE, R. (2021, 12 15). *Marshall McLuhan, un penseur des médias à part*. Retrieved 05 25, 2024 from hypotheses: https://sms.hypotheses.org/24026

3) Cardon, D. (2019). *Culture numérique.* Paris: Presses de la fondation nationale des sciences politiques.

4) chislelabs.com. (2023, 05 04). *what is the user? definition, types, and role*. Retrieved 03 07, 2024, from chislelabs.com: https://chisellabs.com/glossary/what-is-user/

5) Collins, B. (2024, 05 22). *ChatGPT Down Again As OpenAI's Bad Week Continues*. Retrieved 05 27, 2024, from forbes.com: https://www.forbes.com/sites/barrycollins/2024/05/22/chatgpt-down-again-as-openai-investigates-error-messages/?sh=78efe5ae3041

6) Couldry, N., Madianou, M., & Pinchevski, A. (2013). *Ethics of Media.* London: Palgrave Macmillan London. doi:https://doi.org/10.1057/9781137317513

7) Elliott, A. (2018). *The culture of AI - everyday life and the digital revolution.* London and NewYork: Routledge Taylor and Francis Group.

8) *ENTREVISTA A HERBERT MARCUSE, 1978 (SUBTÍTULOS EN ESPAÑOL)*. (2017, 12 02). Retrieved 05 19, 2024, from beers and politics: https://beersandpolitics.com/entrevista-a-herbert-marcuse-1978-subtitulos-en-espanol

9) Fernández, T., & Elena, T. (2004). *Biografia de Bernard Berelson*. Retrieved 05 13, 2024, from Biographies and Lives. The online biographical encyclopedia [Internet]. Barcelona, Spain: https://www.biografiasyvidas.com/biografia/b/berelson.htm

10) Goodreads. (n.d.). *Marshall McLuhan Quotes (Author of The Medium is the Massage) | Goodreads*. Retrieved 05 25, 2024, from Goodreads: https://www.goodreads.com/author/quotes/455.Marshall_McLuhan

11) Ho, A. G. (2017). Structuring User Experience Design. *Art and Design Review, 05*, 73-83. doi:https://doi.org/10.4236/adr.2017.51006

12) HOLTON, G. (1952). *Introduction to Concepts and Theories in Physical Science.* London: Addison-Wesley.

13) Lew, G., & Robert M., S. (2020). *AI AND UX - why artificial intelligence needs user experience.* usa: Apress Berkeley, CA. doi:https://doi.org/10.1007/978-1-4842-5775-3

14) lew, G., & Robert, m, s. (2020). *AI and UX why artificial intelligence needs user experience.* usa: springer. doi:https://doi.org/10.1007/978-1-4842-5775-3

15) NNgroup Don Norman. (2016, 07 02). *Don Norman: The term 'UX*. Retrieved 05 21, 2024, from YouTube video: https://www.youtube.com/watch?v=9BdtGjoIN4E&ab_channel=NNgroup

16) Peters, J. D. (1994). The Gaps of Which Communication Is Made. *Critical Studies in Mass Communication, 11*(02), 117-140. doi:https://doi.org/10.1080/15295039409366891

17) Rantanen, T. (2024). *Dead Men's Propaganda (Ideology and Utopia in Comparative Communications Studies).* London: LSE Press.

18) RESEARCH, R. C. (n.d.). *Hazel Gaudet-Erskine*. Retrieved 05 13, 2024, from ROPER CENTER FOR PUBLIC OPINION RESEARCH: https://ropercenter.cornell.edu/hazel-gaudet-erskine

19) Wikipedia. (2024, 01 19). *Elihu Katz*. Retrieved 05 14, 2024, from Wikipedia: https://fr.wikipedia.org/wiki/Elihu_Katz

20) Wikipedia. (2024, 04 30). *Paul Lazarsfeld*. Retrieved 05 13, 2024, from Wikipedia: https://fr.wikipedia.org/wiki/Paul_Lazarsfeld

21) إدغار موران. (2004). *الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب*. (أحمد القصوار، و منير الحجوجي، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

22) إدغار موران. (2009). *النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية* (الإصدار ط1). أبوظبي-الإمارات العربية: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.

23) برونو باتينو. (2021). *حضارة السمكة الحمراء* (الإصدار ط1). (مصطفى حجازي، المترجمون) الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي.

24) بن الصغير يعقوب. (2020). المشروعية الابستيمولوجية في نقل المفاهيم العلمية إلى حقل الاتصال - ثنائية النقل الميكانيكي و التبيئة -. *المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، 05*(01)، 183-200. doi:https://doi.org/10.59791/arhs.v5i1.2056

25) بن الصغير، يعقوب. (2023). *المسألة الرقمية وفتوحات الذكاء الاصطناعي*. الجلفة - الجزائر: فهرنهايت 451 للنشر والترجمة.

26) توما دو كونانك. (2004). *الجهل الجديد ومشكلة الثقافة*. (منصور القاضي، المترجمون) بيروت-لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

27) الجزيرة. (16 05, 2023). *ألان تورينغ عالم رياضيات بريطاني فك شفرة الألمان في الحرب العالمية الثانية*. تاريخ الاسترداد 26 03, 2024، من الجزيرة : https://aja.me/2t7mk7

28) حيدر فالح سلمان. (2021). *الخلود الرقمي - الذكاء الاصطناعي ومستقبل البشر -*. قطر: دار جامعة حمد بن خليفة للنشر .

29) دهلاس جينيفر. (2010). المراهق والهاتف النقال التمثل والاستخدامات -دراسة على عينة من المراهقين في ولاية الجزائر العاصمة-. صفحة 43. تاريخ الاسترداد 19 03, 2024، من https://www.yumpu.com/xx/document/read/39418558/dehlas-jemniferpdf

30) رضوان بوجمعة. (2004). ابستمولوجيا علوم الاتصال : أزمة فهم بنية الاتصال في المجتمع الجزائري. *المجلة الجزائرية للاتصال، 09*(18)، 11-21. تاريخ الاسترداد 25 05, 2024، من https://www.asjp.cerist.dz/en/article/81199

31) زهراء الطشم. (26 01, 2022). *هارتموت روزا : التسارع وإقتصاد الزمن* . تاريخ الاسترداد 27 05, 2024، من hekmah.org: https://hekmah.org/%D9%87%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D9%85%D9%88%D8%AA-/%D8%B1%D9%88%D8%B2%D8%A7

32) ستيوارت راسل. (2022). *ذكاء اصطناعي متوافق مع البشر - حتى لا تفرض الآلات سيطرتها على العالم* -. (مصطفى محمد فؤاد، و اسماعيل عبد العليم أسامة ، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

33) صلاح عثمان. (13 04, 2023). *الفلسفة وتعويذة الجي بي تي!* تاريخ الاسترداد 25 05, 2024، من https://2u.pw/B4n6eQCw

34) عبد الحق سويلم، و صافي محمد. (2024). ماهية الذكاء الاصطناعي . تأليف أميرة سابق، *الذكاء الاصطناعي رؤى متعددة* (صفحة 275). برلين - ألمانيا: المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية .

35) عبد الرحمان قدي. (10, 2016). *المقاربات النظرية والمنهجية في دراسة جمهور ومستخدمي وسائط الاتصال* . تاريخ الاسترداد 07 03, 2024، من Researchgate.net: https://www.researchgate.net/profile/Abderrahmane_Keddi/publication/350053485_almqarbat_alnzryt_walmnhjyt_fy_drast_jmhwr_wmstkhdmy_wsayt_alatsal/links/604e22cc92851c2b23cd3710/almqarbat-alnzryt-walmnhjyt-fy-drast-jmhwr-wmstkhdmy-wsayt-alatsal.pdf

36) عبد العزيز بوالشعير. (2016). *مقالات في الدرس الابستمولوجي - مساءلات فلسفية في العالمين الصغري والكبري* - (الإصدار ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف .

37) فضيل دليو. (2023). *قضايا معاصرة من الملكية الفكرية إلى الذكاء الاصطناعي* (الإصدار الطبعة الالكترونية). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

38) مارجريت إيه بودين. (2022). *الذكاء الاصطناعي*. (إبراهيم سند أحمد، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

39) الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي. (2022). *معجم البيانات والذكاء الاصطناعي - إنجليزي-عربي* -. السعودية: الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي.